



كرامة الوطن والمواطن فوق كل اعتبار

كاسيون

www.kassiounpaper.com

اسبوعية - 24 صفحة • الثمن «50» ل.س • دمشق ص.ب «35033» • تليفاكس «00963 11 3120598» • بريد الكتروني: general@kassioun.org

الافتتاحية

الأزمة السورية وطبيعة التغييرات الدولية

يعيش العالم منذ سنوات عدة، مرحلة انتقالية ستستمر لسنوات أخرى إضافية. من بين أهم ميزات هذه المرحلة، هي درجات الاضطراب العالية التي تصيب قوى العالم القديم، والتي تظهر في شعاراتها المتخبطة والمتغيرة، وهو أمر طبيعي تماماً. فالقوى التي اعتادت خلال نصف القرن الماضي أن مقولاتها وشعاراتها وخطاباتها وأفكارها «التاريخية»، التي تقال مرة واحدة وإلى الأبد، باتت غير نافعة هذه الأيام، بل إنها مضطرة ليس لتغيير تلك المقولات فحسب، بل ولتعديلها مرة تلو أخرى مع تسارع وتيرة التغييرات الجارية. ذلك حال جزء واسع من القوى السورية والإقليمية وحتى الدولية. يمكن في أساس هذا الاضطراب، إضافة إلى تخلف وعجز هذه القوى عن فهم وتمثل حركة التاريخ والسير معها - بحكم تعاكس مصالحها مع تلك الحركة - مجموعة من الأساسيات التي تغيب عن التحليل، وتضع هذه القوى أمام جغرافيا مجهولة، لتاريخ مليء بالمطبات.

أولاً: إن أي فهم جدي لما يجري في العالم خلال المرحلة الانتقالية التي يعيشها، ينبغي أن ينطلق من دراسة شاملة للأزمة الرأسمالية العالمية ولعمقها وأجلها، في مقابل الأفاق التي من شأن ذلك أن يفتحها.

ثانياً: استناداً لتلك الأزمة، يمكن فهم تراجع الاستعمار بشكليه «القديم والجديد»، ويمكن فهم «التوازن الدولي الجديد» ليس بشكل رغبات ذاتية بل تأسيساً على الوقائع الموضوعية كما هي، دون استخفاف به وبآثاره ودون مبالغة به.

ثالثاً: منطقتنا جزء من منظومة إقليمية مرتبطة بمنظومة عالمية قديمة يجري تغييرها، ولذلك فهي في طريقها للتغيير أيضاً.

رابعاً: الأزمة السورية جزء من هذه العملية الشاملة، جاءت المصادفات التاريخية لتتكثف فيها في لحظة تاريخية واحدة كل التناقضات السابقة.

بالملموس السوري، فإن المتشددين الداخليين على جانبي المتراس يعانون نوعين من العماء المعرفي، مختلفين بالشكل ولكن متماثلين بالضمون. فجانب منهم يرفض رؤية التغيير الدولي الجاري، وإن أقر به فإنه يقلل من شأنه ويستخف بتأثيراته، ولا ينوبه من طريقة التفكير غير الموضوعية هذه سوى الخيبات المتلاحقة والمستمرة، فهو مضطر للتنازل عن شعاراته الواحد تلو الآخر، ومرة بعد أخرى.

أما الجانب الآخر فيبالغ - انطلاقاً من رغباته - في تقدير حجم التغيير في الميزان الدولي، وفي تقدير آجال ترجماته الملموسة النهائية، ويتمنى ضمناً وعلناً أن تشتغل القوى الصاعدة ضمن أجنداته هو، ولمصلحته هو، متناسياً أنه هو نفسه أحد بقايا العالم القديم الذي تم استخدام بعض أطرافه الأكثر تخلفاً عن الركب من قبل النظام الدولي القديم لتبرير «الفوضى الخلاقة»، بل والذي ساهم في تمريرها عبر تعظيم قوى الفساد الكبير وعبر تطبيق الليبرالية الاقتصادية التي طالت بالتمدير لا الاقتصاد السوري فقط، بل والمجتمع أيضاً.

إن التفكير بالطرق القديمة من شأنه اليوم الخروج باستنتاجات خاطئة، من قبيل أن هنالك صفقات دولية تجري، وينبغي الاستفادة منها، للإبقاء على وضع أو نظام ما. إن ما يتغير الآن ليس ترتيب القوى بين أولى وثانية والخ.. بل ما يتغير هو عالم بأسره، القديم الذي لم يعد نافعاً، أو العاجز عن التكيف، يجري كمنه، ليأتي الجديد محله.

إن القوى الوطنية السورية معنية بالتقاط اللحظة التاريخية على نحو دقيق للبناء على المعطيات والإحداثيات المتشكلة بغية تقديم ما يفيد للخروج من الأزمة الجارية ومنع عوامل إعادة إنتاجها.

انتهى عقد الإيجار

أنت في مصيبة! [07]

شؤون عربية ودولية



«الناتو» يخض الماء في وارسو

15

شؤون محلية



في سلمية.. «دق المي وهيي مي»

10

شؤون محلية



وداعاً للعيد وطقوسه..!

09

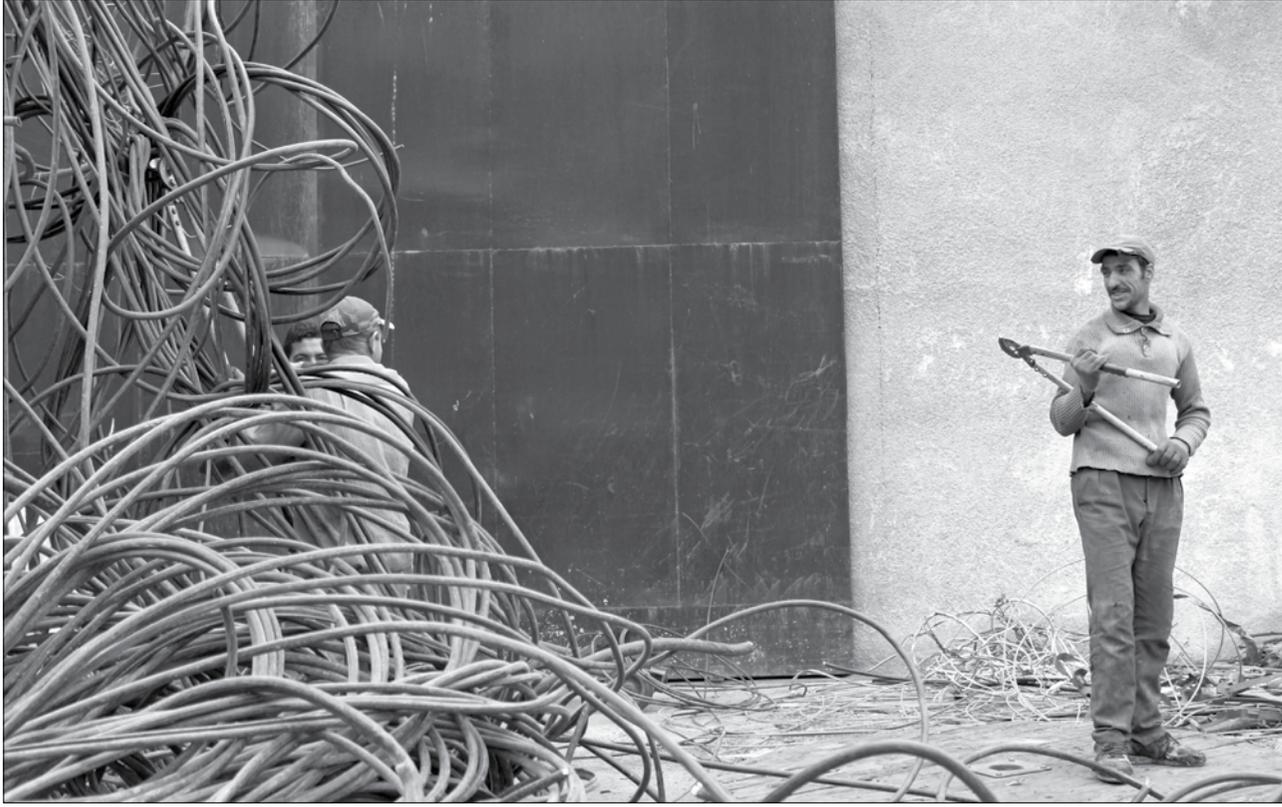
ملف «سورية 2016»



تعالوا نختلف جدياً على المتحول «ت»!..

05

وزارة العمل تدين العمال على اضرابهم!



من المفروض أن تكون القوانين الصادرة معبرة عن مصالح الأطراف التي لها علاقة بهذا القانون، ولكن التجربة مع قوانين العمل في البلاد، التي تسود فيها علاقات الإنتاج الرأسمالية، تكون قوانين العمل معبرة إلى حد بعيد عن مصالح الطبقة الرأسمالية المهيمنة اقتصادياً، وهذا يعبر عنه بموازن القوى التي من خلالها يجري فرض تلك القوانين.

■ عادل ياسين

الكسوة لتقوم بإجراء ما في مواجهة العمال، ولكن ذلك لم يحدث ذلك.

رابعاً: تقدم رب العمل بشكوى أخرى إلى مديرية عمل الريف رقم الكتاب 190/ص تاريخ 2016/5/21 والمسجل لدى المديرية برقم 3226/ مطالباً المديرية بتقديم رأيها حول ما قام به العمال من إضراب كامل عن العمل دون وجه حق، كما عبر كتاب رب العمل للمديرية. خامساً: مديرية العمل شكلت لجنة تفتيشية اطلعت عليها وزارة العمل، وقد أكدت اللجنة التفتيشية، التي استتكر عملها العمال، طالبة من العمال الالتزام بأحكام قانون العمل وعدم تعطيل العمل وسلوك الطرق المقبولة قانوناً للمطالبة بأية مزايا إضافية، ونوهت المندكرة على أحقية رب العمل بتطبيق أحكام المادتين 64، 65 ولا سيما البندين «2,5» من الفقرة «أ» من المادة 64.

على أساس ما تقدم يمكن القول أن قانون العمل رقم 17، الذي يخضع له عمال القطاع الخاص، لا بد من إعادة النظر بمواده الأساسية وفقاً للدستور السوري، المفترض على أساسه إعادة النظر بمجموع القوانين لتتوافق مع الدستور، وقانون العمل هو جزء من هذا الإجراء، حيث تنص المادة «44» للمواطنين حق الاجتماع والتظاهر سلمياً والإضراب عن العمل في إطار مبادئ الدستور، وينظم القانون ممارسة هذه الحقوق. ومن هذه القاعدة الدستورية تتبين المخالفة الواضحة للدستور، وعدم صحة موقف وزارة العمل ومديريتها، التي انحازت لصالح رب العمل في مواجهة حقوق العمال ومنها الحق بالإضراب وهو الدستوري والقانوني، بالرغم من عدم تضمين هذا الحق بقانون العمل، وهنا تكمن مسؤولية الحركة النقابية تجاه مواجهة سلوك وموقف وزارة العمل، خاصة وأن اللجنة التفتيشية التي ذهبت إلى المعمل لم تكن بحضور مندوب عن النقابات يمكن له أن يكون مدافعاً عن حق العمال ومشروعياً إضرابهم من أجل زيادة أجورهم وتحسين مستوى معيشتهم.

لماذا العودة إلى قانون العمل؟

من الواضح للجميع أن عدم تشميل قانون العمل بمادة تنص على حق الإضراب للعمال مرده إلى الوزن الحقيقي الذي تمثله قوى رأس المال في التأثير على صناعة القرار المعبر عن مصالحها، وهذا خلل في ميزان القوى بين قوة العمل «العمال» ومن يمثلهم من جهة، وبين قوة رأس المال ومن يمثلهم، وهذا الخلل لن يعدل إذا ما بقي حق العمال بالدفاع عن مصالحهم وحقوقهم مغيباً، وفرض حق الإضراب هو جزء أساسي من معركة الحقوق الديمقراطية والنقابية للطبقة العاملة، ليس لعمال القطاع الخاص فقط بل يتضمن عمال القطاع العام المحرومين من هذا الحق للظروف نفسها، بالإضافة إلى أن النقابات لم تتبن هذا الحق إلى هذه اللحظة، وهذا جزء أساسي من الخلل الواقع في موازين القوى بين قوة العمل ورأس المال، ولنطرح بضوء ما ذكرنا مثالاً قريباً يوضح العلاقة بين قانون العمل والعمال، وموقف أطراف العمل المختلفة، ما جرى لعمال شركة زنبوبيا عندما نفذوا إضرابات متتالية من أجل زيادة أجورهم وتعويضاتهم.

أولاً: هذه الشركة كغيرها من شركات القطاع الخاص لم تكن يوجد بها لجنة نقابية، وبادر العمال وتقدموا بانتساباتهم لمكتب النقابة طالبين ضمهم للتنظيم النقابي، وفقاً لقانون التنظيم النقابي رقم 84، وصدر قرار الضم أخيراً، وهذا إنجاز يحسب للعمال ويعبر عن وعي متقدم لديهم بضرورة أن يكونوا جزءاً من الحركة النقابية.

ثانياً: قام العمال كما ذكرنا بعدة إضرابات طالبوا فيها بزيادة أجورهم، ونجحوا بذلك، وعكست الإضرابات تلك قدرة العمال على التفاوض أثناء الإضراب، وحرصهم على المعمل مصدر رزقهم من أية أساءة للالات أو خلافه.

ثالثاً: رب العمل تقدم بشكوى إلى شرطة

ومثال على ذلك: قانون العمل رقم 17 لعام 2010 الذي صدر في ظل سيادة السياسات الاقتصادية الليبرالية، سياسة الانفتاح الكامل على قوى الرأسمال، بما فيها القوانين التي كانت أكثر أشكال التعبير عن مصالح تلك القوى، والتي كان لها آثار كارثية على حقوق ومصالح عمال القطاع الخاص، من خلال ما تم فرضه بهذا القانون من مواد جائرة جعلت أرباب العمل أكثر استبداداً تجاه حقوق العمال، بما فيه حقهم بالعمل المكفول دستورياً والمنتكح بحكم القانون.

لقد كان القانون وما زال سيفاً مسلطاً على حق العمال في العمل، من خلال المادتين الأساسيتين اللتين كانتا القاعدة التي استند إليهما أرباب العمل في تسريح عشرات الألوف من العمال، خلال الأزمة وما قبلها، باعتراف نقابات العمال ومؤسسة التأمينات الاجتماعية، مما فاقم من مأساة العمال المترافقة مع الظروف الكارثية التي حلت بهم بسبب التهجير القسري من بيوتهم، ليأتي تسريحهم من العمل ويزيد البلاء طيناً.

عقدت عام 2014 في الشهر السابع اجتماعات متوالية لنقاش بعض التعديلات على مواد قانون العمل، شملت الاقتراحات سبع مواد بما فيها المادتين 64، 65، وتم التوافق على إبقاء المادتين المذكورتين على حالهما تحت إصرار أرباب العمل وعدم قدرة النقابات على فرض تغييرهما، وانحياز ممثلي الحكومة لأرباب العمل، وإصرار أرباب العمل على أن يكون التعديل بما يتوافق مع قانون الاستثمار وشبهياً به.

وفرض حق الإضراب هو جزء أساسي من معركة الحقوق الديمقراطية والنقابية للطبقة العاملة

بصراحة

■ محمد عادل اللحام



عمال القطاع غير المنظم.. من ينظمهم؟

الحديث يطول عن واقع الطبقة العاملة السورية من حيث تصنيفها، بين منظم أي موجودون في مراكز إنتاجية ويخضعون للقوانين المختلفة، مثل التأمينات، وقانون العمل وغيره من القوانين، ولكن هناك قطاعاً مهماً من العمال يصنفون غير منظمين، وغالبيتهم في قطاع البناء والنسيج، الذي ربما يضم عدداً من العمال لا يتجاوز عدد أصابع اليد في الورشة الواحدة، وبالتالي حقوقهم غير منظمة ومهدورة في أغلب الأحيان لخضوعها لمزاج من يشغلهم بكل حقوقهم ومنها أجورهم.

العمالة غير المنظمة أعدادها ليست بالقليلة، ولا أحد يملك معلومات دقيقة عن أماكن وظروف عملها وأجورها، وهذا تصور تتحمل مسؤوليته جهات عدة لها علاقة مباشرة بالطبقة العاملة من حيث العموم، ومن هذه الجهات التأمينات الاجتماعية، حيث تملك جهازاً تفتيشياً من المفترض أن تكون إحدى مهامه هو اكتشاف مواقع عملهم، وبالتالي تثبيت حقوقهم المختلفة.

الجهة الأخرى التي تتحمل المسؤولية أيضاً هي النقابات العمالية، فهي معنية من حيث الأساس على جذب العمال إلى المظلة النقابية التي هي إحدى الجهات المفترضة للدفاع عن حقوقهم، بالإضافة لتأمين الميزات الجاذبة للعمال للانتساب للنقابات، التي يسأل العمال عنها عند الحوار معهم من أجل إقناعهم بالانتساب للنقابات.

العمالة غير المنظمة تتركز بمعظمها في قطاع البناء، كورشات عمل متفرقة أو في الشركات الإنشائية الخاصة، التي تضم بين صفوفها مئات من العمال في كل شركة، وهؤلاء العمال لا يخضعون لقانون ينظم حقوقهم وهم معرضون للكثير من المخاطر المرتبطة بالمهن المتعددة، ولا تأمين لهم ضد إصابات العمل التي يتعرضون لها، ومن هنا الحاجة ماسة لتجميع المعلومات الواسعة عن أماكن عملهم في المشاريع التي تنفذها الشركات ليصار بعدها وضع خطة عمل للتوجه لهؤلاء العمال في أماكنهم، ولشرح أهمية أن يكونوا في إطار النقابات لحماية حقوقهم، خاصة وأن شركات القطاع الخاص ناشطة في الإعلان عن نفسها تحضيراً للمرحلة القادمة، مرحلة إعادة الإعمار، وإذا لم يكن في خطة النقابات تنظيم هؤلاء العمال فإنهم سيتعرضون لخسارات حقيقية في حقوقهم، والتنظيم يحتاج إلى حراك على الأرض يؤمن الصلة المباشرة بين العمال والنقابات.

قانون العمل وعدم توافقه مع الدستور



وانما منعوا من تنظيم أي اجتماع داخل مكان العمل مهما كان نوعه أو طبيعته!!

من جهة أخرى تعد المادة 64 من القانون نفسه، والتي سمحت لصاحب العمل بالتسريح التعسفي، سيقاً مسلطاً على رقاب العمال، فهي تسلب العمال أي حق يعطيهم إياه القانون، حتى لو نص قانون العمل على حق الإضراب صراحة، حتى الحقوق التي يدعيها المشروع بأنه أعطاه للعمال في هذا القانون تبقى حبراً على ورق بسبب هذه المادة، وبهذا تعتبر هذه المادة معارضة للدستور نصاً وروحاً فهي تأخذ من العمال بالشمال ما أعطته باليمين.

أسباب موجبة لماذا؟

من ناحية أخرى تعتبر الأسباب الموجبة لأي قانون هي البوابة الرئيسية لفهمه وفهم إرادة المشروع وقصده من وراء إصداره للقانون، وعند العودة إلى الأسباب الموجبة للقانون رقم 17 تحدث المشروع أن القانون الجديد يحقق الانسجام والتوافق مع العديد من التطورات الاقتصادية والاجتماعية المستجدة على المستوى المحلي والعربي والإقليمي، ويلبي طموح العمال وأصحاب العمل بما يخدم المصلحة الاقتصادية العليا للدولة، ولكن هل التطورات الاقتصادية التي تحدث عنها المشروع، والتي جاء القانون على ذكرها، كانت لحساب الطبقة العاملة، أم على حسابها؟ وخصوصاً أن المشروع يريد أن يقول صراحة: أن عليه مسيرة موجة الليبرالية الاقتصادية التي اجتاحت المنطقة والعالم والتي أفقرت الملايين، ألا يعارض هذا نص الدستور

■ ميلاد شوقي

من هنا يعد قانون العمل رقم 17 الصادر عام 2010 من الناحية الدستورية قانون غير دستوري، لتعارضه الواضح مع أحكام الدستور الجديد الصادر عام 2012، الذي نص في المادة (44) منه على حق الإضراب عن العمل، بينما قانون العمل المذكور لم ينص على حق الإضراب، بل وذمب أبعد من ذلك إلى إعطاء صاحب العمل حق التسريح التعسفي، وبالتالي يعتبر هذا القانون غير دستوري، والأحكام التي تصدر وفقه باطله بطلاناً مطلقاً، وبالتالي لا يترتب عليها أي أثر قانوني، مما يستوجب إعادة النظر فيه وتكييفه وفق أحكام الدستور.

ولكن إلى الآن، وبالرغم من مرور 4 سنوات على صدور الدستور الجديد، لم تقم السلطات التشريعية بدراسة مدى دستورية قوانينها وتعديلها، وخصوصاً تلك المتعلقة بمعيشة العمال وحقوقهم، والأخطر من ذلك أن وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل والقضاء السوري مازالوا ينفذون مواد ذلك القانون، مع أنهم يملكون الصلاحية الكاملة لرفض تنفيذها.

مواد تتعارض مع الدستور

المادة رقم 96 من القانون المذكور، والتي تعارض الدستور معارضة صريحة وواضحة، ففي الفقرة (ز) نصت على ما يلي: «يمنع على العمال جمع النقود أو التبرعات أو توزيع المنشورات أو جمع التوقيعات أو تنظيم الاجتماعات داخل مكان العمل دون موافقة صاحب العمل»، أي يحظر على العمال ليس فقط الإضراب

في أية دولة من دول العالم يعتبر الدستور هو القانون الأعلى في الدولة، وبالتالي يجب على المشرع عندما يعمد إلى إصدار أي قانون أن يراعي مدى دستوريته ومدى توافقه مع الدستور نصاً وروحاً، أما عند إصدار دستور جديد فتعتبر القوانين التي تخالفه باطله بطلاناً مطلقاً، ويجب على السلطات التشريعية في البلد العمل على تعديل قوانينها بما يتوافق وأحكام دستورها الجديد..

ملائمة بعيداً عن المصلحة

هذا وقد ختم المشروع في أسبابه الموجبة لإصدار هذا القانون، أن الفكر القانوني السوري يسعى لموائمة التشريع الوطني مع الاتفاقات والتشريعات الدولية ذات العلاقة، والتي التزمت بها حكومة الجمهورية العربية السورية، من هنا يتبين أن الهدف الحقيقي للقانون هو ملائمة القوانين السورية مع شروط البنك الدولي وتوصياته والاتفاقات سيئة الصيت المعقودة معه، والتي أفقرت ودمرت بلاداً بأكملها، وليست مصلحة الطبقة العاملة أو المصلحة الاقتصادية العليا للبلاد كما ادعى المشروع .

الجديد أيضاً حين نص عن العدالة الاجتماعية؟

المشروع ذكر صراحة أن قانونه الجديد مستمد من ضوء التشريعات العربية والغربية الحديثة، وذكر منها قانون العمل المصري والتونسي والفرنسي، وكأن الطبقة العاملة في هذه الدول نالت حقوقها وتعيش في ازدهار ورفاه دائم!! ولا تعيش هذه الدول اليوم حالات غليان في الشوارع، فمن تونس التي شهدت أولى الانتفاضات في البلدان العربية بسبب البطالة، إلى مصر التي شهدت انتفاضتين متتاليتين، إلى الفرنسيين الذين يخرجون اليوم بمئات الألوف ضد قانون العمل الجديد الذي ينص على التسريح التعسفي.

حسم أربعة مليارات سنوياً من رواتب المعلمين لصالح خزانة تقاعد



توظيف هذه المبالغ الضخمة في الاستثمارات لصالح المعلمين وكيف، وهل تستطيع تجنب الوقوع في العجز، كما هو الحال دائماً؟

مطالبات القانون:

لا يسمح القانون بإمكانية عدم الاشتراك، وخاصة هؤلاء الذين لديهم خدمات تتجاوز الـ 25 عاماً، أي بمعنى أنه سيجبر هؤلاء الذين باتوا على حافة التقاعد على دفع ضريبة سنين التعب في ميدان التربية والتعليم.

ما هو الضمان الفعلي أن لا تقع النقابة في مطب العجز مرة أخرى، ولماذا تعاني نقابة المعلمين من العجز في الصناديق دائماً؟

نحن أمام كتلة نقدية كبيرة سنوياً، حوالي أربعة مليارات، ماهي اليات توظيفها في ظل عدم وجود خطة استثمارية واضحة خلال الأشهر المتبقية من هذا العام.

شروط صرف المعاش التقاعدي:

يستحق العضو المعاش التقاعدي إذا أتم الستين من العمر واشترك في الخزانة لمدة 25 عاماً بنسبة لا تقل عن الـ 25% من الراتب المقطوع.

يستحق العضو المستقل معاشاً تقاعدياً

بعد صدور المرسوم 9\ في 3\7\2016 المتضمن إحداهن خزانة تقاعد المعلمين، لجأت نقابة المعلمين بالتنسيق مع الجهات الوصائية إلى حسم 6% من رواتب المعلمين شهرياً، وذلك حتى شهر أيلول، أي ما يعادل 2000 إلى 2500 ل.س. حسم من كل راتب، كما تم في الوقت نفسه اقتطاع 1500 ل.س كرسوم اشتراك تدفع لمرّة واحدة، ليصبح المبلغ الإجمالي المقطوع بين 3500 إلى 4000 ل.س، أخذين بعين الاعتبار أن عدد المعلمين في القطر حوالي (365000 معلم)، وجاء هذا الخصم قبل فترة العيد، ليرمي بثقله الكبير على كاهل المعلم الذي يعاني من تدن مستوى المعيشة أصلاً.

■ مراسل قاسيون

السؤال الذي يطرح نفسه:

لماذا لم يعرض استبيان هذا المشروع قبل إقراره على المعلمين بشكل واسع، حتى لا تقع النقابة في مطبات هي بغنى عنها، وبالتالي كانت نتيجة هذا المرسوم صدمة كبيرة على المعلمين، ونخص بالذكر المعلمين الذين لديهم خدمات تتجاوز الـ 25 عاماً، لأنهم مجبرين على دفع كل سنوات الخدمة قبل التقاعد حتى يستفيدوا بنسبة لا تقل عن 25% من الراتب المقطوع من خزانة تقاعد المعلمين.

والسؤال الأخر: هل تستطيع النقابة

أرباح مطبوعة المعلمين و 25% من أرباح صيدليات النقابة و 25% من المراكز الطبية و 5% من أرباح رياض الأطفال والمدارس الخاصة و 25% من أرباح نقابة المعلمين من شركة إدارة النفقات الطبية و 25% سنوياً من بدل استثمار فندق الحياة الخاص بنقابة المعلمين.

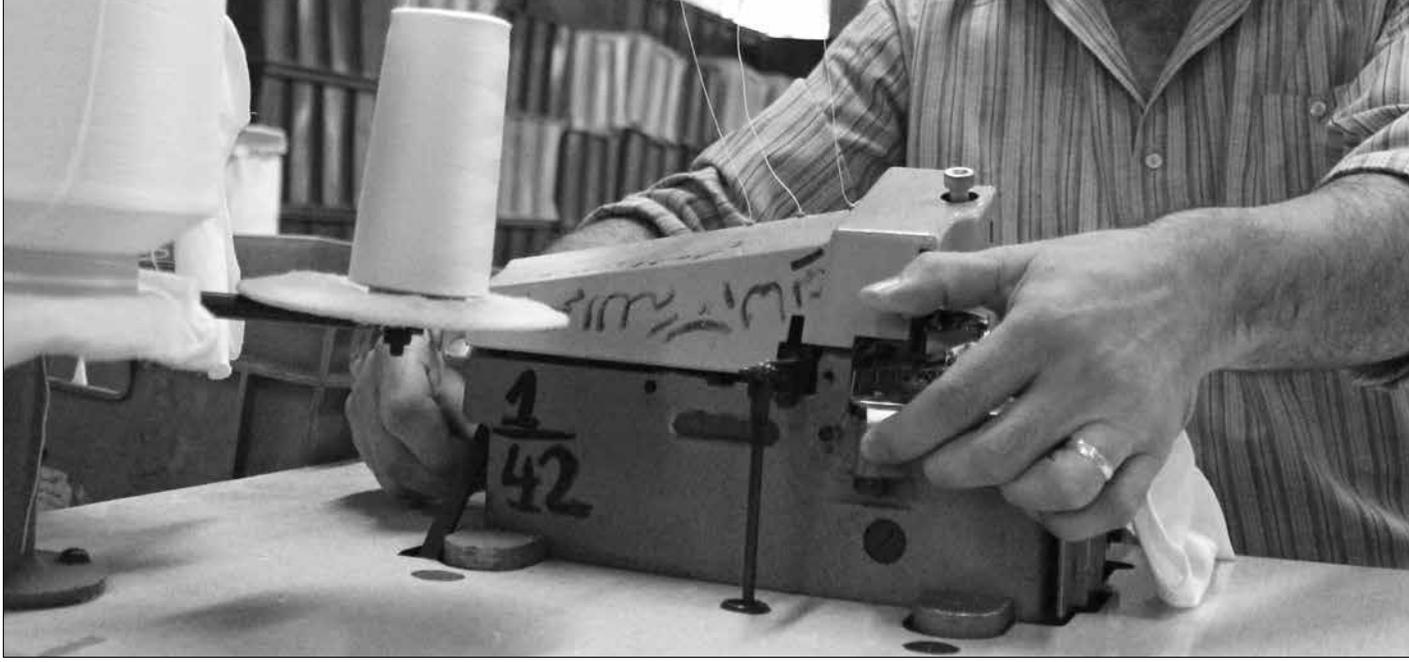
تودع هذه الوردات في مصرف أو أكثر من المصارف العامة يحددها مجلس الإدارة للنقابة، ويمنع التصرف بها إلا بموافقة المجلس المركزي واقتراح من مجلس الإدارة.

إذا بلغت اشتراكاته في الخزانة 30 سنة أو أكثر بنسبة لا تقل عن 25% من الراتب الشهري المقطوع. في حال وفاة العضو يستفيد منه الورثة لمدة سبع سنوات بعد وفاته.

واردات موازنة الخزانة

تأتي من رسم الانتساب والتي تبلغ «1500 ل.س» ويسدد لمرّة واحدة، ومن الاشتراك الشهري «الاشتراك التقاعدي» مقداره «3%» من الأجر الشهري المقطوع، كما تأتي هذه الوردات من 25% من

أعطونا حقنا وإلا..!



نظم عشرات العمال أنفسهم على مدى أسبوعين كاملين، في أحد معامل الخياطة الكائن في صحنايا، كي يستطيعوا الحصول على جزء صغير من حقوقهم التي سلبت منهم إياها قرارات حكومية من جهة واستغلال أرباب العمل من جهة أخرى.

هاشم العقوبي

تتابع «قاسيون» رصد التحركات العمالية في القطاع الخاص غير المنظم، التي بدأت بعد القرار الحكومي الأسود المتمثل بزيادة أسعار المحروقات، وصور مرسوم التعويض المعيشي المصاحب له، والذي لم يشمل عمال هذا القطاع، ويبدو أن توقعاتنا باستمرارها كان صائباً، حيث شهد هذا القطاع الواسع نشاطاً عمالياً واضحاً يتمحور حول مطلب أساسي وهو الزيادة الفورية للأجور، توازي بحدها الأدنى التعويض المعيشي الذي حرم منه عمال هذا القطاع، وتفاوتت نسبة نجاح هذه التحركات بناءً على عوامل عديدة، أهمها: درجة تنظيم العمال لأنفسهم وخصوصية المهنة وعدد العمال في المشغل أو المعمل الصغير أو الورشة.

خطوة بخطوة و«قاسيون» حاضرة

بادرت «قاسيون» فور تلقيها اتصالاً هاتفياً بتلبية طلب مجموعة من العمال العاملين في معمل للخياطة، والمتمثل بمواكبة إعلامية لتحركهم الذي يعدون له، من أجل الضغط على صاحب المعمل كي يحصلوا على حقهم في زيادة فورية على الأجور تساوي بحدها الأدنى مقدار التعويض المعيشي الممنوح للقطاع العام والخاص المنظم، وذلك بعد أن فشلت مطالبهم الشفهية جميعها التي توجهوا بها للإدارة.

العمال يمهلون الإدارة يوماً كاملاً

على مدار يومي الأحد والاثنين الماضيين، اجتمعت المجموعة المفوضة من قبل الغالبية العظمى من العمال البالغ عددهم 85 عاملاً، والمكونة من خمسة عمال بمستودع المعمل، كي تتم مناقشة الخيارات الممكنة جميعها، للوصول للغاية المرجوة بزيادة الأجور، وأثبتت المجموعة المفوضة من خلال النقاشات التي تمت كفاءة عالية تبشر بالنجاح، وبعد النقاشات الكثيرة والتشاور المرن توصلت لاتفاق مفاده أن يقدم العمال المطالبين بالزيادة على الأجور جميعهم طلباً خطياً يوقعون عليه ويذكرون فيه نسبة الزيادة المطلوبة 40% للإدارة، مع تحديد مهلة مقدارها يوماً كاملاً للرد خطياً على الطلب المقدم، كون عطلة عيد الفطر ستبدأ يوم الثلاثاء، وفعلاً تم تقديم الطلب يوم الأحد مساءً، بانتظار رد الإدارة يوم الاثنين، ولكن الرد تأخر رغم انتظاره حتى منتصف النهار، فانتدبت المجموعة عاملاً كي يراجع الإدارة ويستفسر عن الأمر.

مرة أخرى تثبت التحركات العمالية المنظمة هنا وهناك قدرتها على انتزاع الحقوق

بعد العيد - منتحاسب -

لم يكن صاحب المعمل موجوداً حينها، فتوجه العامل المنتدب لأحد أعضاء الإدارة مستفسراً عن طلبهم المقدم، فاحتدم النقاش بينهما وطلب المدير من العامل العودة للعمل ونسيان الموضوع، فالمعلم الكبير «الحجي» لم يوافق على الطلب، فتوعدده العامل بالخطوات اللاحقة المتفق عليها قائلًا له بحزم: «ما وافقتوا على الزيادة معناها بدكم يانا نأضرب ونساويلكم طوشة بالنقابات والتأمينات والجرايد؟ طيب بعد العيد منتحاسب وسلمي عالحجي».

الإدارة تتراجع والعمال ينتظرون

لم تكد تمضي ساعة واحدة على تلك «المشاجرة الكلامية» حتى طلبت الإدارة حضور العامل نفسه، كي تخبره بأن «الحجي» سيكتفي هذا الشهر بإعطاء «عيدية محرزة» لكافة العمال، على أن تتم زيادة أجورهم الشهر القادم، وهنا أصر العامل

على معرفة مبلغ «العيدية» ونسبة الزيادة الموعودة، فأجابته بأغلب الأيمان بأن مبلغ «العيدية» عشرة آلاف للعمال والعمالات، و15 ألف لرؤساء الأقسام والورديات، وبأن الزيادة لن تكون أقل من 7 آلاف، وبأن صاحب المعمل كان ينوي أن يقوم بالأمر أساساً ولا داع لهذه الحركات الولادية، فما كان من العامل إلا أن ذكره بعشرات المطالبات الشفهية السابقة التي لم تجب عليها الإدارة، طالباً منهم أن يلتزموا بما وعدوا به وإلا...! مرة أخرى تثبت التحركات العمالية المنظمة هنا وهناك قدرتها على انتزاع الحقوق، إن هي عرفت كيف تستخدم أدواتها وتطورها، فالتطبيق العاملة ومصلحتها تتناقض مع مصلحة رأس المال الذي ينمو ويكبر من نهبه لعرق العمال وشقائهم، وسبب الإضراب عن العمل من أهم أدوات الدفاع عن الحقوق والمصالح الطبقة والسياسية.

«العيدية» جزء من حق مسلوب



تساءل عمال القطاع الخاص غير المنظم في الأيام الأخيرة من شهر رمضان عن مقدار المبلغ الذي سوف يدفعه لهم رب العمل «عيدية» قبل عطلة العيد، خاصة في هذه الظروف المعيشية القاسية التي اتفقت فيها سياسات الحكومة وقراراتها وممارسات أرباب العمل.

هاشم سليم

حق وليست صدقة

يصر أرباب العمل على مصطلح «العيدية» كتسمية للمبلغ المضاف على الأجر الأخير

في نصوص القانون والتشريعات، ليس لتجاهل المشرع له بل لأن هذه الشريحة العمالية الواسعة لا قانون لها سوى قوانين السوق الجائرة، التي فصلها أرباب العمل على مقاسهم الخاص ووفق مصالحهم وأهوائهم، وضمن نظرية العرض والطلب، وتلك أيضاً لا تصب في مصلحتهم أبداً.

عطلة بلا أجر

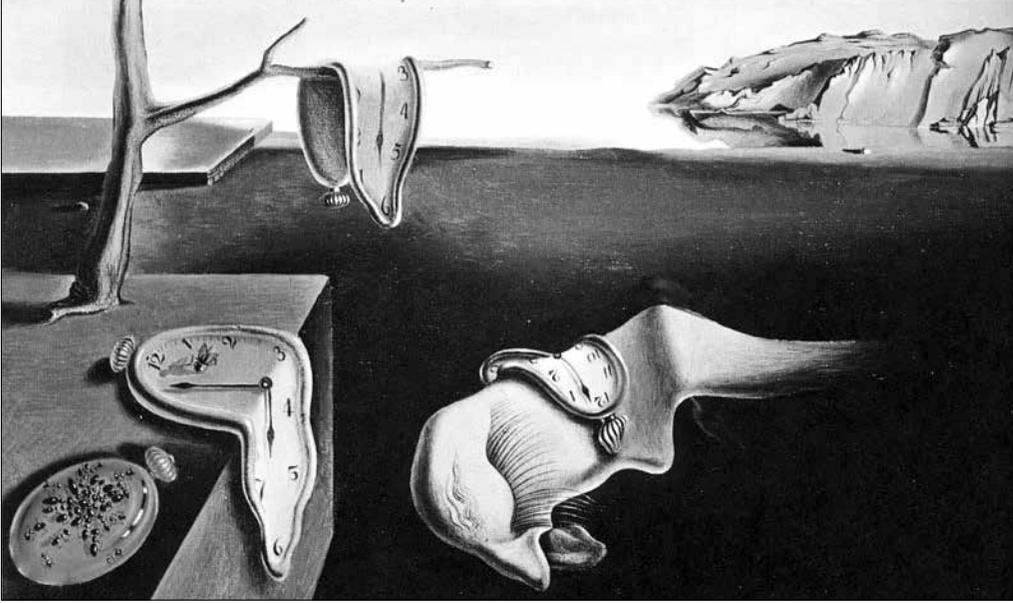
تعتبر عطلة العيد بالنسبة لعمال القطاع العام والخاص المنظم عطلة مدفوعة الأجر، عكس عمال القطاع الخاص غير المنظم فعطلة عيد الفطر، والتي قد تمتد لأسبوع كامل، تكون غير مدفوعة الأجر وتأتي «العيدية» لترقيع هذا الخلل في العلاقة بين العامل ورب العمل، فلا مئة أو فضل لرب العمل بتلك الآلاف التي يقدمها لعماله، مهما كساها بأثواب الرحمة والتدين، فإن كان صادقاً بإكرامه لعماله؛ فليدفع لهم أجر أسبوع كامل، ومن ثم يضيف عليه مبلغ «العيدية» التي يدعي بأنه يكرم بها عماله.

قبل عطلة عيد الفطر، ولا يأتي هذا الإصرار من فراغ، فهم يريدون صبغه بأفكار العطاء والكرم والإيمان، وكأنه منحة أو مكافأة أو صدقة، رغم أنه بواقع الأمر ليس سوى جزء من حق مشروع للعمال لا تجده

استغلال أعلى للعمال والأطفال

عادة ما يقدر رب العمل المبلغ بما لا يتجاوز نصف الأجر الأسبوعي للعامل، فإن كان أجره مثلاً عشرة آلاف أسبوعياً فإن «العيدية» قطعاً لن تكون أكثر من خمسة آلاف، فيما يكفي بدفع ألفين أو ثلاث لعمال الإنتاج والأطفال العاملين لديه، فتلك الأرباح التي يجنيها على أكتافهم طوال العام لن يفرط بجزء ولو ضئيل منها لصالح عمال، لم يحمهم قانون ولم يدخلوا يوماً للتنظيم النقابي ولا للتأمينات الاجتماعية، وربما يتضح ذلك بالكثير من الحالات التي تحصل في المعامل الصغيرة والمشغل والورشات، ومنها بأن العامل الذي يكون جديداً على مكان عمله لا تشمل «مكرمة المعلم» قبل العطلة، فالنسبة لرب العمل لا يستحقها عامل لم يتم لديه في عمله ثلاثة أشهر بالحد الأدنى، وبمعنى آخر وهو المعنى الحقيقي للأمر لن يدفع له جزءاً يسيراً من حقه قبل أن يكون قد مص دمه وسلب عرقه وتعبه وقوة عمله.

تعالوا نختلف جدياً على المتحول «t»!..



لم يعد هنالك كثيرون ممن يناقشون في حقيقة أن تغييراً عالمياً كبيراً يجري على قدم وساق. ويعبر عنه بالقول بـ«تغييرات ميزان القوى الدولي» وبالحدث عن «الأحادية القطبية» وتحولها التدريجي نحو «تعددية قطبية»، مع ذلك فثمة خلاف كبير وجوهري لا يزال قائماً..

سامر المبدالله

إنّ في أساس تغيير ميزان القوى الدولي الجاري، ليس تقدم هذا الطرف وتراجع ذاك وحسب، بل الأزمة الرأسمالية العالمية الشاملة والعميقة والتي تضع أرجل الأطراف كلها في «فلكة واحدة»، يتمايزون في مواقفهم ضمنها بين من عليه تلقي معظم الضربات لأنه الأقل جاهزية وقدرة على التكيف، وبين من سيلقى جزءاً منها لأن لديه إمكانية التكيف، هذه الإمكانية التي لا تزال نظرية حتى الآن، وستبقى ريثما تتحول إلى واقع وإن لم تتحول فإنه سيواجه مصير «المتراجعين» نفسه، وربما مصيراً أفسى منهم!

«أفاق التغيير»

إنّ احتمال أن تكون الأزمة الراهنة للرأسمالية، هي أزمته الأخيرة والنهائية، هو احتمال عالٍ، ولا يتسع المكان هنا لتفسير هذا الاحتمال، «يمكن للقارئ الرجوع إلى الكتابات العديدة في قاسيون حول هذه المسألة وخصوصاً تقرير المؤتمر الاستثنائي 2003»، إن هذا الاحتمال يغير وجهة النظر في المسألة برمتها، وبأفاتها أيضاً.. فالعالم لن ينتقل من حالة استقرار على أحادية قطبية باتجاه حالة استقرار أخرى على ثنائية أو تعددية قطبية على نمط الحرب الباردة في القرن الماضي، بل إنّ الانتقال الذي يبدو اليوم من حيث شكله انتقالاً من الأحادية إلى التعددية، هو ذاته انتقال غير مستقر، وحتى مع اكتماله فإنه لن يستقر طويلاً، فثمة مشكلات كبرى لا تزال عالقة وبحاجة إلى حلول جذرية.. مشكلة توزيع الثروة على المستوى العالمي بين رأس المال والشعوب التي باتت تكبح النمو في الدول جميعها، متقدمها ومتراجعها..

يتمحور الخلاف حول الأسئلة التالية: ما طبيعة التغيير الجاري؟ ما هي آفاقه؟ وبأية سرعة يسير؟ ولهذه الأخيرة أهميتها الخاصة.. ولكن فلنبداً من حيث ينبغي أن نبداً!

«طبيعة التغيير»

إنّ رصد مجمل التغييرات الكبرى الجارية على الساحة العالمية، بجوانبها المختلفة: المالية والاقتصادية والسياسية والعسكرية وحتى الثقافية، ورغم أنه يسمح بتكوين تصور معقول حول كيفية سير الأمور، وتالياً التنبؤ بأفاتها، إلا أن الخضوع لعملية «الرصد الخارجي» تلك، دون البحث في الأسباب العميقة، كقيل بتوليد جملة من الاستنتاجات الخاطئة.. ولناخذ واحداً من أهم الأمثلة على ذلك: «الأحادية والتعددية القطبية» إنّ من يستنتج من صعود «بريكس» وتراجع «الغرب» أننا نعيش مرحلة الانتقال من «العالم الأمريكي» الأحادي القطبية إلى عالم «ثنائي أو متعدد القطبية» يقع في خطأ كبير.. لماذا؟

إنّ القول بالانتقال من الأحادية إلى الثنائية أو التعددية، يندرج في إطار القياس الشكلي مع الماضي، أي أنه مقارنة تستند في جوهرها إلى تغييرات أواخر القرن التاسع عشر وتغييرات القرن العشرين، وهي لذلك مقارنة يمكن لها أن تقع في أخطاء كبرى.. فالقياس يفترض التكرار، ولذلك بالضبط فإنه لا ينفذ إلا في حدود ضيقة هي حدود المرحلة التي تتسم بسمامة جوهرية مشتركة، أما حين يجري الحديث عن الانتقال بين مرحلتين لهما سمتان مختلفتان جوهرياً، فإنّ القياس يغو أداة تضليل أكثر منه أداة معرفة..

بل وإنها تُصَفّر ذلك النمو وتقوده نحو المعدلات السالبة.

بأية سرعة سيجري ذلك؟

تتحد سرعة التغيير، أي حجمه وزمنه، لا وفقاً لـ«التفاؤل التاريخي»، ولا وفقاً لـ«التشاؤم التاريخي»، بل وفقاً لطبيعة التغيير نفسه وقانونياته، أي تبعاً لعمق الأزمة الرأسمالية الحالية وآليات تفاعلها وتطورها، وهذه بحاجة إلى فهم عميق ومتابعة حثيثة للوصول إلى تحديد الأزمنة التي ستشهد خلالها التحولات الكبرى، واحدة من أهم الأدوات في عملية التحديد هذه، هي: دراسة أطوار الأزمة «المالي-الاقتصادي-الاجتماعي السياسي»- مرحلة إنتاج البدائل.. والوقائع اليوم تشير إلى أن العالم قد دخل الطور الثالث الاجتماعي السياسي من الأزمة.. ما يعني أن آجال التغيير باتت على مقربة، وباتت ضمن ما يسمى «الآجال المتوسطة»..

صياغة المهام

إنّ رفع الشعارات الثورية والتغييرية، ووضع المهام الثورية، يتطلب لا فهم الخط العام فقط، بل يتطلب بالضرورة تكوين صورة قريبة من الواقع عن المتحول «t»، عن الزمن. بأي الآجال ستجري التغييرات؟ لأن عدم تحديد تصور عن ذلك يعني أن المهام الموضوعية أياً تكن هي مهام غير صحيحة أقل تقدير.. وهي أيضاً مهام غير صحيحة وضارة، فإن هي استبقت اللحظة المناسبة فشلت، وإن سبقتها تلك اللحظة فهي قد فشلت أيضاً..

فإذا كان كثيرون يقولون بتغيير ميزان القوى.. فلنتقدم خطوة أخرى عبر محاولة الإجابة عن متى سيكتمل هذا التغيير وكيف سيكون شكله..؟ ولنتخلف في الإجابة فهذه مسألة تستحق الجهد البحثي والنضالي كله، ولنترك وراءنا سجالات هل يتغير الميزان فعلاً أم لا يتغير.. لنترك هذا السجال للأنظمة التقليدية ومعارضاتها التقليدية..

مرحلة جديد في الأزمة

تضح يوماً بعد يوم الخلافات بين المراكز الرأسمالية الغربية حول العديد من الملفات الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية، والتي تعكس في العمق تضارب المصالح، بين البورجوازيات الغربية، المهيمنة على الاقتصاد والقرار السياسي، والعسكري...

رمزي السالم

ليس عجباً، أن التناقضات برزت في القضايا الاقتصادية أولاً، وانعكست في المواقف السياسية حول العديد من الملفات الدولية، لتصل مؤخراً إلى حد السؤال عن ماهية حلف الأطلسي، ودوره، كأحد البنى الرئيسية للمنظومة الرأسمالية الغربية، وبغض النظر عن أن أغلب النخب البرجوازية الأوروبية، وتحديدًا الحاكمة منها، محكومة بأوامر ريمونت الكونترول الأمريكي، إلا أن الواقع الموضوعي، فرض نفسه، ودفع ويدفع التناقضات إلى الأمام، وفي قراءة أولى، يمكن القول:

– إن تفاقم التناقضات يعتبر إحدى خاصيات مرحلة التراجع، فالمركز الرأسمالي الغربي، بات عاجزاً عن الاستفراد بالقرار العالمي بحكم أزمته، وكل بنية مأزومة من الطبيعي أن تتآكل من الداخل.

– إن هذه التناقضات مرشحة للتفاقم، بحكم عجز

نفس علاقات الإنتاج الرأسمالية المهيمنة، – العالم يضيق بهذا النموذج المهيمن، في أزمته الراهنة، التي لم ينفذ فيها، لا ضخ الأموال، ولا إشعال الحروب، ولا محاولة مصادرة وعي البشرية عبر الحرب البيسيكرونية.. إنها القوانين الموضوعية التي تفلح فعلها، رغم تمرس، وحرفية، وتفوق أدوات «صاحب الجلالة».

– إن ما يحدث في أوروبا، وخصوصاً بعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وما سوف يتبع ذلك، وتباين المواقف، بين العديد من دول الاتحاد الأوروبي، والمركز الامبريالي الأمريكي، هو انعكاس لأحد أشكال التناقضات في عالمنا المعاصر، في ظروف الأزمة البنيوية التي تزلزل النظام الرأسمالي العالمي، بمؤسساته، وبنائه، وقيمه، وتحديدًا التناقض بين المراكز الرأسمالية، الذي يعمق بدوره الصراع الطبقي داخل البلدان الرأسمالية، مما يعني أن الرأسمالية دخلت طوراً جديداً في الأزمة، وأن استقطابات جديدة تتشكل، لتستقر عند حدود التناقض الأساسي في عالما المعاصر، «أمبريالية – شعوب»، ولتتميل ميزان القوى أكثر فأكثر لصالح شعوب العالم، وتعزيزاً لخياراتها في البحث عن نظام بديل.



السيرورة التاريخية المستمرة والكامنة خلف الكواليس!



لانتراع مواقع لها في العالم بأشكال مواجهة لسيطرة الإمبريالية أعطى لطابع موجهتها شكلاً أقل جذرية من حركات القطع السابقة، والتي لم تكن خالية بدورها من أدوار اقتصادية وسياسية واجتماعية عالمية ضمن التجارة والاستثمار وإن بشكل أقل بروزاً كما لروسيا والصين اليوم، وما «بنك التنمية الآسيوي» ومجموعة دول «شنغهاي» و«بريكس» إلا ظواهر ملموسة لعملية القطع مع نمط التبعية الإمبريالية اقتصادياً وسياسياً، في تحرك هذه القوى الصاعدة بمسار تنمية تواجه للأزمة المالية من خارج آليات التبادل اللامتكافئ.

إن الخطوات الإجبارية التي تقوم بها روسيا والصين وحلفهما بوجه الإمبريالية الأمريكية التي تسعى إلى نسف هاتين القوتين من الداخل وإلى نسف تخومهما، هي بالضرورة دفعات إضافية نحو مقبرة التاريخ، لا للولايات المتحدة، بل للإمبريالية كنظام عالمي.. أي أننا لسنا أمام انتقال بسيط من قطب واحد نحو عدة أقطاب، ولكن أمام انتقال من عالم قديم إلى عالم جديد بكل ما تحمله الكلمة من معنى..

والصين إلى العالم العربي وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، من دون ارتباط روسي صيني كما الشكل البارز اليوم في الأحداث العالمية».

ترابط كامل

كان لتفاقم تناقضات الإمبريالية أن عظم من التمايزات ما بين القوى العالمية، ورفع من حدة الفرز ومعانيه السياسية والاقتصادية، فكانت القوى التي لا تعتمد على علاقات التبادل اللامتكافئ وأنماط النهب وتحقيق النمو من خلال الأدوات المالية هي من القوى التي كان تحقق صعوداً في اعتمادها على الاقتصاد المخطط والمنتج والموجه والممسوك بشكل كبير من الدولة، وبشكل بارز تظهر الصين في نقالات علمية وتكنولوجية واجتماعية كبيرة.

فكان لتداخل العالم وترابطه العالي في العقود الماضية على المستويات كلها أن أعطى لهذه الدول الصاعدة شكل المصير المشترك والموحد، مع شعوب العالم المضطهدة ككل، أرادت ذلك أم لم ترد، وعته أم لم تعه. إن لفكرة التداخل والترابط هذه ولكون هذه الدول تتحرك

استكمالاً لسيرورة واحدة مترابطة هي القطع مع الإمبريالية!

السيرورة التاريخية التي يجب التأكيد عليها هي أن الإمبريالية لم تترك الساحة خلال العقود الماضية لنظام «أعلى» ما فوق إمبريالي، أو «آخر» غير محدد، بل ما تزال تسعى للبقاء ضد اتجاه تاريخي عام يناقض إمكانية استمرارها، تبلور سابقاً على شكل حركات الثورات السابقة (روسيا، الصين، كوبا، فييتنام...) ويجري اليوم استكمالها عبر الصراع الجاري، وعلى أساس ما أنجز في مرحلة الصعود الثوري في القرن الماضي. وذلك بغض النظر عن إرادة أو رغبة الروس أو الصينيين أو غيرهم!

من نتائج المرحلة الثورية السابقة أنها جعلت من الممكن لمجموعة دول أن تراكم قوة اقتصادية وسياسية وعسكرية وتطوراً في مختلف الميادين جعلها قادرة على انتزاع مواقع لها في العالم، وطوال العقود الماضية لم يكن هذا الانتزاع دون صراع، وإن كان يحصل بأشكال أكثر «هدوءاً» في طابعها الظاهر «دون نفي الحروب المتتالية منذ التسعينات في مختلف أنحاء العالم، من تخوم روسيا

بعد التراجع السياسي الذي عاشته قوى التغيير الاجتماعي خلال النصف الثاني من القرن الماضي، وانكفاء وتوقف وتحول أقسام منها بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، والتغير المؤقت لموازين القوى، والتقدم النسبي لقوى رأس المال العالمية، انفجرت تناقضات الإمبريالية مجدداً، وانطلقت حركة اجتماعية-سياسية كان من الضروري لها أن ترفع إلى الواجهة الصراع الفكري بلامح ومفاهيم وقضايا جديدة، ضمن قوى التغيير نفسها، أو بينها وبين القوى من المواقع الفكرية والاجتماعية والسياسية المختلفة.

■ محمد المعوش

عنوان هذا النقاش هو طبيعة المرحلة والقوى الكبرى الفاعلة في حركة التاريخ فيها، وأفاقها، ومعاني الظواهر التي تطبع العالم بلامحها.

الصراع الفكري يتصدر مجدداً

سادت بعد انهيار الاتحاد السوفياتي جملة من «المسلّمات» النظرية-السياسية، على شاكلة نهاية التاريخ وأبدية الرأسمالية وقدرتها «الفريدة» على تجديد نفسها. ولكن انفجار الأزمة المالية عام 2008 وانعكاساتها على المستوى الاقتصادي والسياسي والاجتماعي عاد ليهدد علانية النظام العالمي بطابعه الإمبريالي ككل، مؤكداً بأكثر الأشكال فظافة وقسوة انحطاط نمط الحياة الرأسمالي بمعالجه كلها، صارت الفكرة الغالبة «لدى مختلف أقطاب الصراع من قوى ثورية أو قوى السيطرة العالمية» هي أن العالم يتغير، وأن الإمبريالية تتراجع، وأن عالماً جديداً يتكون مكان القديم. وهكذا فقد تبين أن محاولات إزاحة وإنهاء الصراع الفكري حول مدى صلاحية النظام الرأسمالي وحول ضرورة نسفه وتبديله عالماً جديداً، لم تنجح ولم تكن سوى لحظة نشوة عابرة عاشتها القوى الإمبريالية قبل أن تصحو على تعمق وتجدد أزماتها.

«فكرتان»

هنالك فكرتان تحاولان احتلال الفضاء الفكري للتشويش على الجديد الذي يولد، وذلك بعد أن سقطت فكرة السيطرة المطلقة للإمبريالية «والتي يتم اختزلها إلى سيطرة دولة ما ضمن النظام الإمبريالي للتعمية».

الفكرة الأولى هي: أن الإمبريالية المتراجعة التي يجري الكلام عنها هي طرف واحد في المحور الإمبريالي، وتراجعها ليس تراجعاً للإمبريالية كنظام، ولكن يمكن بتراجع هذا الطرف

«والمقصود هو الأمريكي»، تقدم أطراف ودول جديدة لموقع السيطرة ضمن روسيا والصين».

هذه الفكرة تستخدم اليوم كرأس حربة في الخطاب السياسي-الإعلامي لمواجهة الواقع الجديد، والذي بدأ بحكم تسارع أحداثه يبرهن خطأها لناحية المعارك التي تخوضها القوى الجديدة، وما تعمل على إرسائه من أنماط علاقات اقتصادية وسياسية وثقافية جديدة متناقضة مع علاقات الإلحاق والتبعية الإمبريالية.

أما الفكرة الثانية، الأكثر «لطفاً»، فهي: القائلة بأن عالماً جديداً «متعدد الأقطاب» يولد، دون أن يجري الحديث ولو بكلمة إضافية واحدة تصف هذا «العالم الجديد المتعدد الأقطاب»! إن طرح القضية بهذا التبسيط يجعل من الصعب على قوى التغيير أن تحدد على أساس مادي واضح موقفها من الأقطاب التي برزت بقوة على مسرح التاريخ كروسيا والصين، اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وثقافياً..

ستتجاوز هنا التوصيف القائل بإمبريالية روسيا والصين، وهو المستخدم أساساً لتشتيت قوى الاعتراض الشعبي العالمية الناقمة على العالم الاستغلالي كما أرسته القوى الإمبريالية «أميركا ومن قبلها بريطانيا وفرنسا» والألام التي نتجت وتنتج عنه، وللتعمية على الصراع ومعناه السياسي والتاريخي، بهدف التركيز على فكرة «تعدد الأقطاب» وما فيها من عدم تحديد لآليات الصراع وقوانينه اليوم.

السيرورة التاريخية

في نقاش فكرة «تعدد الأقطاب»، وصيغتها غير المحددة، تظهر إلى السطح فكرة ضمنية عن النظرات غير التاريخية إلى الأقطاب الصاعدة، وكأنها جديدة في التاريخ، أو كأن الصراع الذي يخاض عالمياً توقف على مدى عدة عقود، وزال، وعاد من جديد على أرضية ليست

■ مراد جاد الله

وبالفعل إذا ما نظر المرء بشكل مباشر، فإنه يستطيع أن يرى الولايات المتحدة تسجل معدلات نمو اقتصادي أعلى من المتوسط العالمي المنخفض ضمن ظروف التراجع الاقتصادي العالمي، ويرى أنها نجحت في افتعال حرب النفط لتسبب خسائر لأعدائها، واضطرابات عميقة لدى حلفائها في منطقتنا، ونجحت أيضاً في إبقاء دولارها مرتفعاً وسط حرب العملات، التي طالت الروبل واليوان وغيرها من عملات الدول الصاعدة، وساهمت في دفع اليابانيين للعودة إلى ساحة الحرب والعسكرة الدولية التي تريد الولايات المتحدة أن تفرغ طبولها في الشرق الآسيوي، وأخيراً ساهمت في إخراج حليفها البريطاني من الاتحاد الأوروبي، ليصبح المشروع الأوروبي محكوماً بالغرق في أزمته الاقتصادية العميقة

تستهدفها الإمبريالية بسلاح العنف والفضوى. لتسعى هذه القوى إلى تشكيل الردع العسكري الذي يرسم حدوداً لتوسيع الحرب، وتعمل على سحب البساط من تحت الدولار بتشكيل منظوماتها النقدية والمالية الجديدة، وبفرض عملاتها في التداول الدولي، كما تفعل الصين.

الولايات المتحدة تدير أزمة التراجع الإمبريالي اليوم، وهي تفقد قدرتها على حماية حلفائها، فتضطر إلى مد ساحة الحرائق إلى عتبات أبوابها كما في أزمة الاتحاد الأوروبي..

أما إذا أخذنا مؤشرات التوتر الاجتماعي وارتفاع مستوى العنف المقصود ضد «الأمريكيين الأفارقة» في الولايات المتحدة ذاتها، وأخرها ظهور الفئاضة واغتيال عناصر الشرطة، يمكن أن نقول، بأن المركز الإمبريالي، بدأ محاولة إدارة الصراع الاجتماعي في داخله، بعد أن أصبح أمراً واقعاً لا مهرب منه..

التمثلة بالتباطؤ الاقتصادي وعبء الديون الكبير، مع احتمالات الفوضى كلها المترتبة على هذا الأمر، والتي قد تمنع القوى الاقتصادية الأوروبية الفاعلة من التوجه نحو الشرق، حيث ينشط ويقوى أعداء الولايات المتحدة الألداء، وتحديداً في روسيا المتصلة بأوروبا وفي آسيا عموماً..

إن النظر إلى اللوحة بهذا الشكل، يمكن أن يستنتج منه وبشكل سطحي أن الولايات المتحدة تنجح في درء الخطر والتدهور المباشر الذي يلم بمنظومة الرأسمال الإمبريالية اليوم.. إلا أن نظرة أعمق للأمر توضح جوانب أخرى.. فالولايات المتحدة ليست مجرد دولة، بل هي المركز الإمبريالي العالمي منذ أن تحول السلاح والدولار إلى أداة الهيمنة العالمية، وهذه الأدوات لا تتفعل إلا إن جالت على المسرح العالمي، وحققت الغنائم، وهذه الأدوات تحديداً تتلقى هجوماً باصرار من القوى العالمية الصاعدة، التي

هل الولايات المتحدة هي «الولايات المتحدة» فقط؟!

ينظر البعض إلى اللوحة الاقتصادية والسياسية العالمية اليوم ليحاولوا متابعة الأحداث خلال عام مضى، ويخلصون إلى نتيجة مفادها أن الولايات المتحدة تنجح بافتعال الأزمات وتصديرها وإبقاء نفسها بعيداً عن الاضطراب العالمي الجاري..

انتهى عقد الإيجار.. إذا أنت في مصيبة!



12 ألف للفقير

«كروز» دخان للعبور

بقي على صاحبنا أن ينقل أغراض بيته من سكنه القديم إلى الجديد، وكم هو محظوظ، فالمسافة بينهما لا تتعدى أكم ولا يوجد سوى حاجز واحد و«مفرزة» صغيرة، وكما نصحه صاحب السيارة الكبيرة، التي سيحمل بها أغراضه على نقلتين، أن يشتري «كروز» علبه سجانر كي يمر منهما دون تعقيدات مصنعة، على أن يأخذ منه ستة آلاف ليرة على كل نقلة، مبرراً ذلك بارتفاع سعر المازوت وتكاليف الصيانة القائمة طول، وهذا ما فعله أبو سليمان فذهب للمختار وأعد ورقة بالأغراض التي يريد نقلها بنداً بنداً وبالتفصيل، ودفع له 500 ليرة كأتعاب، واشترى «كروز دخان» بالآفين وخمسائة ليرة، وبدأ بتحميل أغراضه على دفعتين، وما إن وصل بنقلته الأولى إلى نقطة التفتيش أخذ السائق منه علبتا سجانر ليعطيها للمناوب هناك، الذي أشار له بالوقوف على يمين الطريق للقيام بعملية التفتيش.

«حاجز» التسعيرة المدروسة

لم يحظ أبو سليمان بهكذا استقبال من قبل عند أي حاجز، طوال سنين الأزمة لا بعدد العناصر المرشحين ولا بطريقتهم المريحة، وبعد أن طلب عنصر الحاجز من السائق ركن السيارة على يمين الطريق، طلب موافقة المختار، فقرأها بتمعن غريب ثم أمره أن يتجه للغرفة المزروعة كي يحظى بالموافقة، وفعلاً قام صاحبنا بالأمر وبدأ السين والجيم، ومن وسط الحديث سأله «شو جبتلنا معك؟» فدفعت له السائق بعلبتي الدخان، مذكراً إياه بأن هناك نقلة أخرى، «بدي على كل نقلة 2500 ليرة».. دفع صاحبنا ما ترتب عليه من مبالغ، وحمد الله على وجود حاجز واحد في الطريق إلى منزله الجديد.

الأمنية وخلافه كلها عليك، فإذا بتحب لقوم فرجيك ياه، هي من أولها مشان ما تعذبني عالفاضي».

210 آلاف إيجار ستة أشهر

خاض أبو سليمان تجربة البحث عن بيت بأغلب تفاصيلها، ولم تكن الشقق التي قيل عنها بأنها «ديلوكس أو كسوة جيدة» سوى بيوت صغيرة أكلتها الرطوبة وعجزت أضواء القداحات والموبايلات عن إطفاء عتمتها، فالمبلغ الشهري المرصود لإيجار بيت لم يكن يتجاوز 25 ألف، وبهكذا مبلغ شحيح لن يحصل المضطر إلا على شقة مكونة من غرفة وصالون، تدلل صاحبها وتبجح سمسارها، مع أنها ليست سوى قبر كبير لا يرى شمساً ولن يدخله هواء إلا إذا فتح بابه الرئيسي وشبাকে المصل على المنور، فما كان من صاحبنا إلا أن رفع ميزانيته خمسة آلاف أخرى لتصبح ثلاثين ألفاً وأعاد البحث من جديد، إلى أن من الله عليه بشقة غرفتين وصالون، كسوتها مقبولة، ضمن الشروط ذاتها، ستة أشهر سلف 180 ألفاً و30 ألف للمكتب، أي 35 ألف شهرياً.

«الكشكشة» فرض وليست نافلة

بدأت المرحلة الثانية من مسيرة أبو سليمان للبيت الجديد حين أراد أن يحصل على الموافقة الأمنية، كي يثبت العقد ويصبح الأمر قانونياً، فالبلدية أو المحافظة لا تسجل أي عقد إيجار بدونها، وتلك معاناة أخرى بحد ذاتها تتطلب الكثير من الصبر ورباطة الجأش وبضعة آلاف «للكشكشة»، ومن حسن طالع أبو سليمان هنا أنه خبر هذه التجارب، فالموافقة، وموافقة البلدية، وطلبات كل جهة منهما، تتطلب جهداً إضافياً، ولهاثاً على مدى أسبوع من مكان لمكان.

خاض أبو سليمان تجربة البحث عن بيت بأغلب تفاصيلها، ولم تكن الشقق التي قيل عنها بأنها «ديلوكس أو كسوة جيدة» سوى بيوت صغيرة أكلتها الرطوبة وعجزت أضواء القداحات والموبايلات عن إطفاء عتمتها، فالمبلغ الشهري المرصود لإيجار بيت لم يكن يتجاوز 25 ألف، وبهكذا مبلغ شحيح لن يحصل المضطر إلا على شقة مكونة من غرفة وصالون، تدلل صاحبها وتبجح سمسارها، مع أنها ليست سوى قبر كبير لا يرى شمساً ولن يدخله هواء إلا إذا فتح بابه الرئيسي وشبাকে المصل على المنور، فما كان من صاحبنا إلا أن رفع ميزانيته خمسة آلاف أخرى لتصبح ثلاثين ألفاً وأعاد البحث من جديد، إلى أن من الله عليه بشقة غرفتين وصالون، كسوتها مقبولة، ضمن الشروط ذاتها، ستة أشهر سلف 180 ألفاً و30 ألف للمكتب، أي 35 ألف شهرياً.

على مردود أعلى بأضعاف ما يدفعه لهم، وعرضوا عليه إن أراد البقاء في المنزل وتجديد العقد عليه أن يدفع 75 ألفاً كبذل إيجار شهري، فأسقط في يد الرجل وعلم أن آخر مقومات صموده المعيشي المتمثلة في ذلك المنزل قد انهار تماماً، وعليه ألا يضيع دقيقة واحدة من الوقت، لعله يجد منزلاً يأويه وعائلته يتناسب مع وضعه المادي البائس، ومع عفش بيته الكبير «الحيلة والفتيلة» فهو من المحظوظين القلائل الذين لم «يعفش» بيتهم بالكامل، بل اكتفى «المعفشون» أثناء تفتيش المنطقة بفرن الكهرباء وطنجرة الضغط واسطواناتين من الغاز.

رحلة «الثمانين يوماً»

بدأ صاحبنا رحلة البحث عن بيت في المنطقة ذاتها، قاصداً المكاتب العقارية المنتشرة في المنطقة وما أكرهها، وأول العقبات أن أكثر من ثلاثة أرباع المكاتب تضع ورقة مكتوب عليها بخط رديء «لا يوجد بيوت للإيجار» وأما من لديه بيوت للإيجار فما إن أعلن عن رغبته ببيت للإيجار حتى بدأ صاحب المكتب يرميه بعشرات الأسئلة «من وين حضرتك» «وكم واحد انتوا بالبيت» و«وين كنت ساكن قبل» و«شو بتشتغل» والكثير من الأسئلة الأخرى التي لا يمكن أن يتعرض لها أحد إلا بأفزع الأمن والتحقيق، وأبو سليمان يجيبه بطلاقة المعهودة وباندهاشه الواضح، وما إن فرغ صاحب المكتب من تحقيقه حتى بدأ بتلاوة الشروط «عندي بيت غرفتين وصالون سوبر ديلوكس، صاحبها بدو ستة أشهر سلف، وبيكتلك عقد ستة شهور كل شهر 45 ألف، وتأمين ماء وكهرباء 15 ألف، وأنا بدي كمسيون لأيدي شهر كامل، ومدفوعات العقد والموافقة

■ مراسل قاسيون

الأزمة تستمر والأجرة تتضاعف

حين أستأجر ذلك البيت، في عام 2012، كان يدفع 7000 ليرة كبذل إيجار للمنزل الأرضي المكون من غرفتين وصالون، مساحته 100 متر مربع تقريباً، وهي مساحة واسعة نسبياً لا يحلم الكثيرون بها، ولم تكن 7000 ليرة تشكل عبئاً كبيراً عليه، فالمبلغ لا يتعدى ربع دخله الشهري، ولكن ما أن انتهى ذلك العام حتى بدأت الأمور تتغير بسرعة، فحركة النزوح القادمة من الريف الدمشقي ومخيمي اليرموك وفلسطين رفعت الطلب على البيوت، فارتفعت بالتالي أسعار بدل الإيجار تدريجياً على العقارات جميعها ومنها بيت أبي سليمان، حينها طالب أصحاب المنزل بعشرة آلاف ثم 12 ألف ثم 15 ألف، وهكذا طوال السنين الأربع حتى وصل لـ 25 ألفاً، ومع بداية العام الحالي ومع اقتراب انتهاء مدة العقد المبرم بين الطرفين، طلب أصحاب المنزل من أبي سليمان تسليمهم البيت فور انتهاء العقد دون أن يشرحوا سبب ذلك، مع العلم بأنهم خارج البلاد ويمتلكون منزلاً آخر فوق المنزل الذي يسكنه ويحتمي بسفقه.

معفشون رحماء

تحجج أصحاب المنزل بعشرات الحجج المشوفاة، فحاول أن يقنعهم ببقاؤه مستأجراً لديهم لكن دون جدوى، وهو الذي سمع معاناة الطالبين لبيوت الأجرة من ندرتها وغلاء أسعارها، وخاف أن يصيبه ما أصاب غيره، وبعد محاولات عديدة مع أصحاب البيت كشفوا له عن حقيقة الأمر وبأنهم يرغبون بتقسيمه لبيتين، وبناء غرفة مستقلة أخرى ليؤجروا كل بيت على حدة، والغرفة أيضاً، وبذلك يحصلون

لقد نجاه الله من معاناة البحث عن بيت جديد للأجرة طوال السنين الأربعة الماضية، فقد أسعفه الحظ باستئجار أحد منازل أقاربه في عشوائيات دمشق التي تعتبر آمنة، ووجد «أبو سليمان» وعائلته فيه الملاذ الآمن والرخيص، ولكن «النعم لا تدوم» في ظل أزمة تديرها حكومة سياسيات فوضوية وفاشلة.

لا عيد للمحاصرين



كبيرة هي المناطق التي ما زالت محاصرة على طول الجغرافيا السورية، قديسيا- النبل- معصية الشام- حي الوعر- بعض أحياء حلب- الرقة- دير الزور، وغيرها. سكان هذه المناطق والمدن والأحياء وأهاليها مع أطفالهم لم يعرفوا طعماً للعيد منذ سنوات.

قاسيون

فعلى الرغم من الإعلان عن التهدئة لمدة 72 ساعة خلال أيام عيد الفطر، إلا أن هذه المناطق لم تنعم بها، حيث استمر نشاط الأعمال القتالية وتبادل إطلاق القذائف، التي يذهب بعضهم ضحية مباشرة لها، فتبددت أحلام الأهالي هناك، وضاعت منهم حتى إمكانية منح أطفالهم بعض الأمان في السير على الطرقات.

لعل العيد بالنسبة للأهالي يتمثل بالتخلص من تجار الحرب والأزمة المتحالفين مع حملة السلاح الذين يروعونهم كما يمنعوا عنهم سبل المعيشة والحياة

أطفال لا يعرفون المرجوحة

الأطفال في هذه المناطق لا يعرفون معنى للعيد ولا ببهجته، فهم بغالبيتهم لم يعيشوها قبلاً، أما الكبار فتأكلهم الحسرة على أبنائهم الأطفال بظل ضعف حيلتهم وضيق ذات اليد وانعدام الأمان.

بعض الأطفال لا يعرفون المرجوحة ولا غيرها من ألعاب الأطفال بالعيد، بل لم يعيشوا أي مظهر من مظاهر العيد سابقاً، فهم لا يعرفون أن هناك مكاناً تتجمع فيه تلك الألعاب لتزدهم فيه، كما يزدحم فيه الأطفال وذوهم، مع اللعب والضحك والضحك. وعندما يرى هؤلاء مثل تلك المشاهد عبر التلفزيون أو عندما يسمعون عنها فهم يستغربون، ولا يدركون بأن تجمعات العيد لم تكن حكرًا على منطقة دون سواها، وبأن لهم الحق بأن يعيشوا هذه الفرحة والبهجة ويروا بأعينهم

مظاهرها المتعددة والمتنوعة أسوة بغيرهم من الأطفال، حيث حرمتهم الحرب والأزمة والحصار هذا الحق، كما حرمتهم من طفولتهم التي أصبحت مهدورة.

وجبة مشبعة هي عيد

لعل العيد بالنسبة لأهالي هذه المناطق، كبارهم وصغارهم، يتمثل بوجبة مشبعة، أو بنوم هانئ وهادئ، وقد يكون بحبة دواء مفقودة، أو بالخروج من حالة الأسر المفروضة عليهم عنوة وقسراً، حيث ما زالت المناطق تلك تعاني من منع الدخول والخروج، بالإضافة إلى منع دخول المواد الغذائية والأساسية والأدوية وغيرها

على أطراف الصراع، والذين ما زالوا يسعون لإطالة أمد الحرب والأزمة عبر افتعال أزمة هناك ومشكل أمني هنا حسب ما تمليه عليهم الجهات المشغلة والرعاية والداعمة والممولة، محلياً وإقليمياً ودولياً.

عيد السوريين بالحل السياسي

ويبقى العيد الحقيقي بالنسبة لكل هؤلاء هو يوم الخلاص من حصارهم الظالم، كما أن العيد الأكبر للسوريين جميعاً هو استمرار السير قدماً باتجاه الحل السياسي الشامل، الذي سيخرج البلاد من حربها وأزماتها، ويمنع الكارثة الإنسانية من أن تستفحل وتستطيل.

من ضرورات الحياة والمعيشة، ناهيك عن واقع التردد بالخدمات العامة من النظافة إلى الكهرباء والماء والاتصالات والمدارس.

أو لعل العيد بالنسبة للأهالي يتمثل بالتخلص من تجار الحرب والأزمة المتحالفين مع حملة السلاح الذين يروعونهم كما يمنعونهم سبل المعيشة والحياة، حيث يهيمن هؤلاء حتى على البعض مما يدخل أحياءهم ومدنهم من مواد غذائية أو أدوية، فيتم احتكارها لتوزع وتباع من قبلهم بأسعار تستنزفهم لتزيد من بؤسهم وشقاؤهم، في استغلال إضافي ومباشر لواقع الحصار الظالم المفروض عليهم، والذي يستفيد منه هؤلاء كالم

أطفال دير الزور بلا عيد!؟

أي مظهر من مظاهر العيد وفرحته! ومع ذلك انتزع أطفالنا فرحة العيد رغم الجوع والعطش والألم كله، عبر ترداد بعض الأغاني التي كانوا يغنونها في العيد وهم حفاة عراة، وكان طفولتهم والحياة تأبى الاستسلام للموت والحزن!..

ويقول أحد المواطنين في اتصال هاتفي: عندما رأيت أطفالنا يغنون بفرح «بكرة العيد وانعيد..» رغم المعاناة كلها انهمرت دموعي، أشحت بوجهي حتى لا يروني أبكي وأنصص عليهم فرحتهم! وختم اتصاله بالقول: طموونا عنكم عسى أن تكونوا بخير، وسنفرح لفرحكم؟

أما الأطفال في مناطق سيطرة تنظيم داعش الفاشي فقد حرموا أيضاً من أية مظاهر الفرحة التي كانت سائدة في العيد من لباس وغيره، حيث يمنع على الفتيات حتى الصغيرات من لبس لباس غير اللباس الذي يسمونه شرعياً، ومنعت كثير من الأطعمة التي كانت تباع في الأسواق، بل ومحرومين حتى من الغناء بأغاني العيد!

الأحياء، ما تزال أسعار المواد الغذائية تخلق عالياً أضعافاً، فإنه وجبة غذائية تحتاج إلى 15 ألف ليرة وهي لا تغني ولا تسمن من جوع، فستدويشة الفلافل مثلاً وصل سعرها إلى 500 ليرة سورية، ويقول أحد المحاصرين: اليوم اشتريت لي ولأسرتي وجبة من الفلافل فقط بقيمة 2000 ليرة، وإذا أكلنا ثلاث وجبات في اليوم يكون المجموع 6000 ليرة في اليوم وفي الشهر 180 ألف ليرة وراتبي حوالي 30 ألف ليرة، أي أحتاج إلى ستة أضعاف راتبي فقط لأعيش على الفلافل، ناهيك أن الحصول على عبوة ماء صغيرة للشرب وغير صحية يتراوح سعرها ما بين 50 و100 ليرة، فكيف إذا أردنا أن نستحم؟! علماً أننا لم نعد نفكر بالكهرباء أو أية مظاهر أخرى!

أطفالنا بلا عيد!؟

يبدا البحث عن أي مظهر آخر من مظاهر الحياة الأخرى ترفاً أمام حجم المعاناة والواقع، لكن ما يؤلمنا أكثر أن الأطفال بلا



منه أحياء الجورة والقصور وهرايش، وأمام البحث عن لقمة تسد الرمق وقطرة الماء تروي شيئاً من العطش، والحياة المهتدة بأية لحظة، نتيجة القصف لهذه

قاسيون

الأحياء المحاصرة تنن!

أمام الحصار الداعشي الفاشي الذي تعاني

فيما يستمر حصار تنظيم داعش الفاشي لبعض أحياء مدينة دير الزور وتستمر معاناة الأهالي من الحصار، ومن استغلال الفاسدين وتجار الأزمة لأوضاعهم وحاجاتهم المعاشية، تستمر أيضاً معاناة الأهالي في المناطق التي يسيطر عليها التنظيم من إرهاب وقمع وقطع للرؤوس، وارتفاع أسعار المواد الغذائية، وحرمان المواطنين من الكهرباء والماء، وحرمان الأطفال من أية مظاهر للفرح بالعيد!

وداعاً لطقوس العيد



■ نوار دمشقي

أحد المواطنين قال: «ما عم ناكل تلت وجبات، صرنا عم ناكل وجبة وحدة باليوم، يعني نحنا صايمين من خمس سنين تقريباً، وجباتنا ما فيها لحم، حتى السلطة صارت موسم أسبوعي وحتى شهري، و ع نقص الكهرباء والي صرنا عم نتحمم 3 مرات بالشهر بس، لك معجون السنان صرنا عم نوفر فيه، شو لسا في كمان».

تقنين بالطقوس

الواقع المعيشي اليومي رمي بثقله على كاهل السوريين خلال شهر رمضان، حيث تضاعفت الأسعار عدة مرات خلال الشهر، وخاصة المواد الغذائية، وقد خرج الفروج أخيراً من قائمة الغذاء بسبب ارتفاع سعره الجنوني خلال هذا الشهر، وبذلك خرجت اللحوم بشكل نهائي من سلة الاستهلاك الخاصة بالفقراء وأصحاب الدخل المحدود.

أتى العيد، وعلى الرغم من أن أغلب السوريين قد ألفوا الكثير من طقوسه وعاداته، مثل شراء الألبسة الجديدة أو تحضير الحلويات وغيرها من الطقوس، كما طال التقنين والإلغاء للعديد من الطقوس الخاصة بالأطفال، وحتى زيارة أماكن ألعاب الأطفال والمراجيح، وذلك بسبب تردي الوضع المعاشي والغلاء وعدم التناسب بين المداخل والمصروفات.

الهاتف بديلاً عن التواصل الاجتماعي وقد بلغ الأمر في التقنين على زيارة الأقارب بهذه المناسبة أيضاً، حيث أصبحت تلك الزيارات تحسب بتكاليفها المتعلقة بأجور النقل، هذا الحال ضمن المدينة الواحدة، فما هو حال من يريد التنقل من محافظة

لأخرى من أجل معايدة الأهل هناك، حيث منعته تلك الحسابات من السفر إلى ذويهم خلال فترة العيد، وذلك للارتفاع الكبير بتكاليف النقل بين المحافظات، وخاصة بحال كان تعداد الأسرة كبيراً، حيث تحتاج الأسرة المكونة من أربعة أفراد إلى 24000 ليرة كأجور للنقل بالحد الأدنى للمحافظات متوسطة البعد، مثل المنطقة الوسطى والساحلية، ناهيك عن تكاليف المصاريف الإضافية، فكيف إذا كانت لمنطقة الجزيرة أو المنطقة الشمالية، مع عذابات الطريق ومخاطره كلها، ما أدى لأن يعزف الكثيرون عن معايدة ذويهم بهذه المناسبة، وبالتالي التخلي عن طقس هام من طقوس العيد المتمثل بصلة الرحم، وبات من الطبيعي الاكتفاء بالمعايدة عبر الهاتف، بديلاً عن التواصل الاجتماعي.

تقنين بالحياة

في حديث لأحد كبار السن عن ذكرياته عن العيد وطقوسه وعاداته المحببة للكبار والصغار، لفتني مقاربة عرضها عن الواقع المعاشي المتبدل بين ما كان سابقاً وما صار حالياً حيث قال: «سنة 1962 كنت معلم مدرسة ابتدائية بمنطقة الجزيرة، وقتها كان راتبي بحدود 300 ليرة، وبهديك الفترة كان غرام الذهب سعرو بحدود 370 قرش بس، يعني كان راتبي يجيلي حوالي 80 غرام ذهب، بس ما حسبنا حساب هالأيام السوداء، هلا بالحسبة لازم يكون الراتب بالحد الأدنى شي 500 ألف ليرة ع هوا سعر الذهب، لك يعطونا نصهن، ههه».

حديث هذا العم الهرم، وضحتته المتهمكة، يشير بوضوح إلى حجم النهب والفساد الذي طال لقمة عيش

انتهى شهر رمضان الذي كان كريماً في جيوب الناهبين والفاستدين، مستنزفاً حياة الفقراء ومعيشتهم كافرأ على جيوبهم، ليأتي العيد مستنزفاً ما تبقى في هذه الجيوب، حيث تبقى أيلة قاصرة وعاجزة عن التعبير عن واقع البؤس والأرزاء الذي عاشه ويعيشه السوريون، سواء في شهر رمضان أو غيره من أشهر السنة.

موعد الحساب أت

يقال عن رمضان، أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، ولكن واقع الحال وانعكاسه على السوريين يقول أن التجار والسماسرة والفاستدين، كما الإرهابيين والمرتقة والمغشيين والمشبحين، لم يتركوا مكاناً للرحمة لا بأسعارهم ولا بسرقاتهم ولا بهدرهم لحياة الناس، كما لم يعتقوا الناس من نار نهبهم وفجور حربهم المستمرة، فهل بعد ذلك من يمكن أن ينال هؤلاء أي مغفرة؟ عسى ألا يطول موعد الحساب!

المواطن خلال تلك السنوات الطوال، وخاصة خلال السنوات الأخيرة بظل الحرب والأزمة، ما أدى لأن يحد السوريين ليس من طقوس العيد وعاداته وغيرها من المناسبات، ولا من معدلات استهلاكهم للمواد والسلع والخدمات، بل لأن تصبح حياتهم نفسها مقلصة للحد الأدنى، ومع ذلك هناك من يزيد من نهبه واستنزافه لهذه الحياة، حتى وصلنا لمرحلة هدرها دونما سبب، وهذا ما نعيشه منذ ما يزيد عن الخمسة أعوام.

الرفيق أبو فهد وداعاً!



فقد الشيوعيون السوريون في الجزيرة يوم الجمعة 2016/7/8 الرفيق أحمد شيخ صالح «أبو فهد» الذي توفي بعد مرض عضال.

وعرف الرفيق الراحل بأنه الرجل الخلق والشيوعي الأمين على مبادئه التي آمن بها، وعرفته «قل نمر» كلها، رجالها ونسائها. صغارها وكبارها، رجلاً عفيف النفس نقي الوجدان محباً للناس جميعاً، وثابتاً على المبادئ التي آمن بها، وكان الراحل نصيراً للفقراء ومحباً للحق ومدافعاً عنه.

والرفيق الراحل من مواليد 1943 وانتسب إلى الحزب الشيوعي عام 1957 وبقي شيوعياً مخلصاً لمبادئه وأفكاره حتى وفاته.

وتتقدم أسرة تحرير قاسيون بالتعازي الحارة لأسرة الرفيق الراحل ورفاقه وأصدقائه.

واجب عزاء بالحسكة



قامت مجموعة من رفاقنا في منظمة الحسكة وعمودا لحزب الإرادة الشعبية، بتقديم واجب العزاء لذوي الشهداء جراء العمل الإرهابي الذي جرى بتاريخ 2016/7/5 في مدينة الحسكة، والذي نفذه أحد الانتحاريين بتفجير نفسه أمام مخبز العزيرية الاحتياطي بحدود الساعة السابعة من مساء هذا التاريخ.

محاولة منهم من أجل منعه من أن يفجر نفسه أو الحد من أضرار التفجير، قاموا برمي أنفسهم عليه، ما أدى لتطير أجسادهم الطاهرة حسب روايات شهود عيان. وقد استشهد جراء التفجير الإرهابي أكثر من عشرين شهيداً بأعمار ومناصب اجتماعية مختلفة، كانوا ينتظرون دورهم بالحصول على خبزهم وقوت عوائلهم، كما أصيب العشرات غيرهم بجراح مختلفة.

التفجير الإرهابي قام به أحد الانتحاريين، حيث كان يقود دراجة نارية مرتدياً لباساً عسكرياً، وقد أقدم الإرهابي على فعلته أمام المخبز المذكور بين جموع من المواطنين، بعد أن اقترب من شبك المخبز ليوقع أكبر عدد من الضحايا. يشار إلى أن أربعة أشخاص من المواطنين الموجودين أمام المخبز لحظة معرفتهم بنوايا الإرهابي، وفي

أزمة المياه في سلمية.. «دق المي وهي مي»



يوماً إثر يوم تتفاقم معاناة أهالي مدينة سلمية، تلك المدينة القابعة على تخوم الصحراء، حيث تلعب الظروف البيئية القاسية والسياسات الحكومية غير الرشيدة دورها في استمرار فصول مأساة الاحتضار عطشاً على مرأى ومسمع المعنيين، في ظل غياب أية بادرة لرغبة حقيقية لحل الأزمة وتخفيف المعاناة.

■ سمر علوان

في مفارقة ساخرة يقول البعض - وقد لا يكون القول أكثر من نسج خيال شعبي - أن اسم المدينة جاء من كونها تحتوي على سيول من المياه، وأن الاسم حور لغوياً حتى غدا «سيل مية» ومن ثم «سلمية»، وبغض النظر عن الاسم وأصله فإنه مما لا شك فيه هو أنه لا سيل فيها اليوم ولا حتى ساقية، فالمدينة اعتادت على أن تكون عطشى، حتى غدا التعامل مع شح المياه فنأ يتقنه أهل المنطقة، إذ تعلموا ألا يهدروا قطرة واحدة، وأن يعالجوا المياه التي لا يتقون بمصدرها بأقراص الكلور المخصصة لهذا الغرض، وأن يميزوا بين المياه الصالحة وغير الصالحة للشرب، وألا يصدقوا وعود المسؤولين حين يؤكدون على أن المشكلة ستحل عما قريب.

يحكى أن

الحكاية بدأت في زمان ومكان مختلفين، لكن تداعياتها استمرت حتى اليوم، إذ يروي المسنون من أهل المدينة أن سلمية كانت منطقة خصبة تجود أراضيها بالمياه الجوفية والسيول المتشكلة عقب المواسم الماطرة، لكن انخفاض منسوب الأمطار في العقود الماضية قاد إلى تراجع المياه الجوفية، كما يروي أهل المنطقة أن تجفيف سهل الغاب والذي تم الانتهاء منه في نهاية خمسينات القرن الماضي أيام الوحدة السورية المصرية كان سبباً رئيسياً في تراجع خصوبة المنطقة الوسطى من سورية.

بدايات الأزمة

منذ نيسان عام 1952 قامت مؤسسة إدارة مشروع الغاب بإجراء الدراسات اللازمة لتجفيف المستنقع، وخلصت هذه الدراسات إلى كسر العتبة البازلتيّة التي كانت تشكل

عبارات من قبيل «بدنا مي، ما عم نطلب معجزات» و «سلمية عطشانة، بكفي تهميش» و«سلمية أم الشهداء بلا ماء»، و«حاج كذب.. ملينا، بدنا نشرب مي».

وإذا كان الدارج أن يقول الناس «المي بتكذب الغطاس»، فإن أهل المدينة يقولون في كل مناسبة «المي بتكذب المسؤولين».

لا للتهميش

إحساس الأهالي بالتهميش بدا واضحاً في شعاراتهم وكلماتهم اليومية، فهناك شبه إجماع على أن لا رغبة لأحد من المعنيين بحل المشكلة لأنها تعود بالنفع على ثلثة من المتنفذين الذين يربحون في كل ليتر يباع من المياه، فهل بيعت المدينة وحياتة مواطنيها رخيصة لفئة من تجار الأزمات ومن في عدادهم، وهل يستمر «التنميش» و«التسويق» الحكومي في ظل بوادر تشير إلى تصاعد الغضب الشعبي ومشاعر الغبن والاستياء لدى المواطن الفقير والمهمش والمحروم من أبسط الحقوق؟

جهود غير حكومية

مؤسسة الأغا خان الناشطة في المدينة أخذت على عاتقها تأمين مياه الشرب وإنشاء مناهل مخصصة لها في أحياء المدينة، إلى جانب تعاونها مع منظمة اليونيسيف للتأكد من سلامة مياه الشرب وإيصالها إلى أحياء المدينة بكل السبل المتاحة.

وبدورها فإن صفحات التواصل الاجتماعي التي أنشأها أهالي المدينة بادرت إلى طرح المشكلة والتواصل مع المعنيين في المدينة لمساعدة الأهالي على معرفة مواعيد ضخ المياه للأحياء المختلفة، كما ساهمت مؤخراً في الدعوة إلى الاعتصامات على مبدأ آخر العلاج الكي.

لكن هذه الجهود وإن كانت تخفف من وطأة المعاناة إلا أنها لا يمكن أن تكون حلاً لمشكلة تعود جذورها لعقود مضت، وإنما هي كما وصفها أحد المواطنين في تقرير تلفزيوني «إبرة مسكن» تخفف الألم لحين، لكنها لا تشفي الجراح.

المشكلة تتفاقم وأصبح انقطاع المياه يصل لمدة أشهر أحياناً بحجة الأعمال العسكرية، نتمنى حلاً جذرياً للمشكلة لأن المياه حاجة أساسية ليس لها بديل ولا يمكن أن تبقى تحت رحمة أصحاب الصهاريج، إلى جانب ذلك الانتظار أمام المناهل لتعبئة مياه الشرب».

ويؤكد أبو علي - مدرس - «نحن في القسم الثاني من الحي الشمالي لم نر المياه مدة شهر وخمسة أيام، لأيمت بدنا نضل بلا مي، نحننا قدمنا عشرات الشهداء من أولادنا والكل بيعرف، ومع هيك ما حدا سائل عنا».

أما أحمد باكير - ميكانيك سيارات - فيضيف «في العادة نرى المياه مرة كل 25 يوم، لكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد فكثيراً ما يتم التأخير في مواعيد المياه، مثل ما حدث منذ أيام عندما تم استهداف الرميطة التي راح فيها شهداء من شباب المنطقة والذي قاد إلى توقف ضخ المياه وتأخرها عنا».

وتوضح سالي مزيد - مدرّسة - «لا نعلم بالضبط السبب الحقيقي لمشكلة المياه في سلمية، لكن بنتا نشعر بوجود اتفاق وتحالف بين أهالي الفنطرة وأصحاب صهاريج المياه في المدينة، أعتقد أن الحلول ممكنة وكثيرة ولكنها تحتاج إرادة صادقة من قبل المسؤولين».

ويعقب أبو ناصر - موظف - «وعينا على المشكلة من التسعينات، عندما كانت مياه الشرب المخصصة لسلمية تذهب للرّي في الرستن، وأصبحت المياه تأتي يوم وتتقطع ثلاثة أيام، وفي 2012 تأزمت الأمور أكثر من قبل وبنات مأساة حقيقية، الحل الأمثل استجراار المياه من حماه حيث تتوافر بكثرة ولا يبقى للمسؤولين عذر أن المسلحين هم من قطعوا الماء».

«سلمية عطشانة»

شعار رفعه عشرات الأهالي الذين اعتصموا في الساحة العامة وسط المدينة مراراً، مطالبين بوضع حد لمعاناة طال أمدها، وتتوعد الشعارات التي حملوها لتطال قضايا خدمية أبرزها - إلى جانب قضية المياه - ساعات التقنين الطويلة، ورفع المواطنون

سداً طبيعياً قرب قرية القرقور في الناحية الشمالية من منطقة الغاب، وكان الهدف أن يتحول مستنقع الغاب إلى سهل خصب لزراعة محاصيل اقتصادية كالشمندر السكري، والفسنق.

وعلى رغم النتائج الاقتصادية الإيجابية لتجفيف المستنقع على المدى القصير، إلا أنه وبمرور الوقت تبين أنه سيكون سبباً لمشاكل لاحقة، إذ أدى إلى انخفاض كبير في الرطوبة النسبية في وسط البلاد نتيجة انخفاض معدل التبخر، مما جعل مناخ المنطقة شبه جاف صيفاً، كما قاد إلى تراجع تغذية الطبقة العليا من المياه الجوفية الصالحة للزراعة والشرب، وتحتها طبقة المياه الجوفية الغنية بالمياه الكبريتية، وامتد هذا التأثير إلى مساحة تقدر بمائة كيلومتر شرقاً وأكثر من 125 كيلومتراً جنوباً وشمالاً، وعلى المدى البعيد ازداد القحط وتراجع نمو المحاصيل البعلية من قمح وشعير، وهكذا دفعت البلاد ثمن قرارات غير حكيمة مازلنا نرى تداعياتها حتى اليوم.

تحت رحمة الفاسدين

وبغض النظر عن الظروف البيئية، فإن ما لا شك فيه هو وجود تصيد حكومي صارخ تجاه المنطقة العطشى مقارنة بمناطق أخرى طالها الجفاف ولم تواجه أزمات مماثلة، وتصب أعذار الحكومة دائماً في خانة الإرهاب والمسلحين وهي الإجابات المعدة سلفاً لكل أزمة في هذا البلد، لكن أصابع الاتهام بالنسبة للأهالي تشير إلى عصابة من الفاسدين المتنفذين في المنطقة، إذ يرون أن جهات القتال بريئة من أزمة المياه براء الذئب من دم يوسف، وهو ما أكدته استطلاع قاسيون لأراء عينة من أهالي المدينة.

إذ تقول ريتا صافية - خريجة جامعية - «تعاني مدينتنا من هذه المشكلة منذ أكثر من عشرين سنة، ولم نلمس أي جهد حكومي حقيقي للتخفيف منها، ومع بداية الأزمة بدأت

لا رغبة لأحد من المعنيين بحل المشكلة لأنها تعود بالنفع على ثلثة من المتنفذين الذين يربحون في كل ليتر يباع من المياه.



في الجهات الرقابية.. الترهل شبه متعمد

بعض الأعمال ذات الصبغة الإجرامية من قبل بعض العابثين والمستهترين الذين يستغلون ظروف الحرب والأزمة، اعتباراً من عمليات السلب والتشليح وحتى سرقة السيارات والتعفيش تحت تهديد السلاح، مروراً بحالات الخطف من أجل الفدية، وليس انتهاءً بحالات القتل المباشر، سواءً كان ذلك عمداً أو عن غير عمد، حيث تم تسجيل المئات بل الآلاف من مثل تلك الحالات خلال السنوات المنصرمة، وما زلنا ندفع ضريبة استمرار وجود هذا السلاح المنفلت.

سياسة الانفتاح والفساد

لن نبالغ إن قلنا أن الجزء الأساسي من المعاناة باستمرار هذه الحالة من الفلتان والفوضى الرقابية وعدم تطبيق القانون، سببه الرئيسي هو الفساد المنتشر والمتوسع، بتحالفه الوثيق والعميق مع شبكات النهب والسرقة الموقونة عبر ما يسمى تحرير السوق وسياسة الانفتاح، والتي أخذت مجدها بظل ظروف الحرب والأزمة، ليطال تحالفها أيضاً بعض المجموعات المسلحة هنا وهناك، في تيسير للمصالح المشتركة بينهم على حساب أمن وسلامة المواطنين، والأمة على ذلك أصبحت كثيرة ومتعددة.

على ذلك لم يعد من المقبول عدم إغارة الاهتمام الكافي بعمل أجهزة الرقابة والجهات المخولة بتطبيق القانون، وتركها لحالة الفوضى والفلتان التي تساعد على انتشار وتوسع ظاهرة الفساد فيها، لمصلحة بعض المستفيدين من كبار التجار والسامسة والمهربين والمتنفذين، حيث باتت الانعكاسات السلبية لهذا الترهل وهذه الفوضى تصيب الواقع الاقتصادي الاجتماعي بمقتل، ووقوعها لا يقل سلبية من الإرهاب وداعش ومن خلفهما من قوى، بعضها متشابك بشكل أو بآخر مع بعض الكبار من المستفيدين داخلاً من ذلك.

وما يستتبع ذلك من قطع للمياه واضطرار الناس لاستئجار حاجتها من المياه عبر الصهاريج، التي غالباً ما تكون بعيدة عن الرقابة الصحية أيضاً، وقد تم نشر وتوثيق عدة حوادث وحالات تسمم بمياه الشرب هنا وهناك، أو التقصد بقطع المياه من أجل الترويج لعمل الصهاريج، وهكذا، حيث يظهر للعلن أحياناً بعض أشكال التواطؤ من أجل تيسير عمل بعض المستفيدين من أزمات الناس وحاجتهم للمياه.

الطاقة الكهربائية مركز لتراكم الثروة

كذلك الأمر بالنسبة للكهرباء، فقد أدى الانقطاع الدائم للكهرباء في بعض المدن والمناطق للترويج لمولدات القطاع الخاص، التي تعمل من خارج القانون تحت ضغط الحاجة، ووقوع المستهلكين تحت رحمة هذا القطاع في جشعه واستغلاله لتلك الحاجات، بالإضافة إلى أن ساعات التقنين نفسها كانت قد أفرزت تجارة على هامشها تتمثل بالشواحن والليديات والبطاريات وغيرها من وسائل حفظ الطاقة الكهربائية ونقلها، ومع استمرار الأزمة وتفاقمها ظهرت شريحة واسعة مستفيدة من قطع الكهرباء، تشابكت وتحالفت مع بعض المتنفذين هنا وهناك، ناهيك عن السرقات التي تتم للكابلات والمحولات الكهربائية وحتى لأعمدة الإنارة أحياناً، وبالنتيجة أصبح قطاع استهلاك الطاقة الكهربائية مركزاً هاماً لتراكم الثروات على حساب المستهلكين وحاجتهم.

السلاح المنفلت هو الأخطر

ولعل أخطر ما وصلنا إليه من حالة عدم الانضباط والتراخي لدى الأجهزة المعنية بالرقابة وتطبيق القانون، هو واقع توسع انتشار السلاح، والذي أصبح بعضه منفلتاً ويتم استخدامه في

الحديث عن
الغش بالألبان
والأجبان
المعرضة
في السوق
بات وكأنه من
المتعارف عليه
كامر واقع.

البسطات التي تعرض هذه المواد للبيع بالقرب من مقر مديرية تموين دمشق نفسها، كما الزيوت والسمون والصابون والمنظفات وغيرها من المواد التي تباع على البسطات أيضاً وأحياناً في المحلات وهي مخالفة للمواصفات، بل إن غالبيتها دون تغليف وتعبئة مناسبة وبلا بطاقة بيان، وذلك كله على مرأى ومشاهدة عناصر التموين. لنصل مؤخراً عما يقال عن وجود كميات من الفروج المجمد والفساد القادم تهريباً من تركيا، بعد أن تقطعت السبل أمام مربّي الدواجن المحلية، وارتفاع أسعار هذه المادة بشكل كبير، مما فسح المجال أمام بعض التجار والمهربين بالتعاون مع بعض الفاسدين لتمير هذه الكميات إلى الأسواق من أجل المزيد من التكسب على حساب المستهلكين وصحتهم، والمؤسف هو أن التركيز في الموضوع أصبح على التهريب بدلاً من التركيز على الصحة والسلامة أولاً، وكأن الرعيبة الناجمة عن مصادره كتهريب أهم منها عبر مصادره لمخالفة المواصفات والسمة، وربما معهم حق بذلك فالمصادرة كسمية تفرض الإلحاق الفوري بموجب القانون، وبالتالي لن يوجد من يستفيد من تلك البضائع بعد إتلافها، بينما المصادرة على أساس تهريب قد يكون هناك من يستفيد منها، بهذا الشكل أو ذاك، ولو كانت على حساب سلامة المستهلكين بنهاية المطاف، لتغدو صحة المستهلكين في بازار التجار سلعة غيرها من السلع، وذلك كله بموجب القانون الذي يمكن أن يلويه بعض القائمين عليه وعلى حسن تنفيذه بكل سهولة، هذا بحال تم ضبط هذه المواد الغذائية الآتية تهريباً كلها.

الحاجة للمياه موضع استغلال

ليس بعيداً عن ذلك ما يجري أحياناً من واقع وجود مياه ملوثة يتم ضخها رسمياً للمستهلكين في بعض المناطق،

واقع الحياة اليومية يشير بما لا لبس فيه إلى حالة الترهل والإهمال التي وصلت إليها الجهات العامة المعنية بالرقابة وتطبيق القانون، عبر أجهزتها العديدة المتنوعة الاختصاصات والمهام، حتى وصل الأمر لحدود التقصد بهذا الإهمال والتسيب المتعمد، مع انتشار وتعمق ظاهرة الفساد التي تغولت في بعض مفاصل عمل هذه الأجهزة، والأمثلة على ذلك لم تعد قليلة.

■ عاصي اسماعيل

من الرقابة التموينية، إلى الرقابة الصحية مروراً بسلامة المياه إلى وضع الكهرباء، وليس انتهاءً بضبط المجرمين من حملة السلاح المنفلت الذين باتوا يعيثون إرهاباً وقتلاً وخطراً هنا وهناك.

السلامة الصحية ع البازار

موضوع ارتفاع الأسعار والتراخي في ضبطها لم يعد خافياً على أحد، كما لم يعد بسر يذاع الحديث عن فساد بعض عناصر الرقابة التموينية، ولكن ما هو جديد بهذا المضمار هو أن غفلة هذه الرقابة أو قصورها لم تعد مقتصرة على مخالفة عدم التقيد بالسعر وغيرها من المخالفات الصغيرة، بل زادت الغفلة لتشمل مواداً مخالفة للمواصفات أيضاً، بما في ذلك بعض المواد الغذائية، والتي تعني مخالفة للمواصفات بها الإضرار المباشر بصحة المستهلكين، والتي قد تصل لحدود التسمم والوفاة. على ذلك لم تعد تعيننا كمستهلكين البيانات كلها التي تتحدث عن عدد الضبوط التموينية المنظمة، التي يتم التبعج بها عبر هذه المديرية أو تلك، أو عبر الوزارة نفسها، بل ما يعيننا هو أن نكون مطمئنين لنوعية الغذاء الذي نشترينه من الأسواق أولاً، ثم الاطمئنان ناحية عدم تقاضي السعر الزائد ثانياً، فالحديث عن الغش بالألبان والأجبان المعروضة في السوق بات وكأنه من المتعارف عليه كامر واقع، حيث تجد

تكاليف المعيشة تتسارع بمستويات قياسية خلال 2016، ومع هذا التسارع تتدهور قيمة الليرة، وأحوال السوريين، وينسحب ما تبقى من المنتجين المحليين، لأن القرارات الاقتصادية تستمر في تشجيع «الإثراء» السريع لكل المضاربين على كرامة السوريين وعملتهم.. فماذا لو تم التراجع عن هذه السياسة وما أبرز الخطوات السريعة المطلوبة؟

ماذا لو فعلنا الصواب؟! وأعدنا الدعم..



قاسيون تبحث في الخطوات الرئيسية المطلوبة اليوم لتخفيض مستويات الأسعار، وتكاليف المعيشة في سورية حالياً، في محاولة لتقدير كلف الدعم الضروري..



الرفع المعتمد كان نتيجة مباشرة وغير مباشرة للسياسة الاقتصادية السورية طوال الأزمة، وهو ينجم عن اتجاهين رئيسيين، الأول: إلغاء الدعم عن المواد المفصلية التي ترفع المستوى العام للأسعار، كالمحروقات وتحديد المازوت، والثاني: الأسعار الاحتكارية للمستوردات الغذائية إلى سورية، بعد أن أصبح الغذاء هو السلعة الوحيدة مضمونة الاستهلاك في سورية..

من 50 ليرة مقابل الدولار، إلى 435 ليرة. فخسارة الليرة لقيمتها ينعكس مباشرة في قدرتها الشرائية، وتحديد في تكاليف المعيشة الضرورية، وكلما خسرت الليرة من قيمتها ارتفعت الأسعار، والعكس صحيح.

لذلك فإن الرفع المعتمد للأسعار، كان واحدة من أكبر الضربات التي تلقتها الليرة السورية في قيمتها، وهذا

■ عشر محمود

عندما يصل مستوى المعيشة الضروري لأسرة من 5 أشخاص إلى 260 ألف ليرة في الشهر، فإن الليرة عملياً تكون قد خسرت 88% من قيمتها منذ بداية الأزمة. حيث تضخمت تكاليف المعيشة، من 30 ألف ليرة في عام 2011 إلى 260 ألف ليرة، بنسبة 766%، ما يعني عملياً أن سعر الصرف يفترض أن ينتقل

30 ليرة لتر المازوت يخفض ثلث تكاليف المعيشة

حماية الليرة أو تحفيز الإنتاج والمشروعات الصغيرة، وتحديد أن أسعار المحروقات في سورية لم تتكيف هبوطاً مع انخفاض أسعار النفط عالمياً بنسبة 50% وسطياً خلال عام منذ منتصف 2015، بل استمرت في الارتفاع. أما ذريعة الحكومة بتحصيل الموارد للخزينة، فهي غير مقبولة، لأن سحب الموارد من المحروقات عموماً ومن المازوت تحديداً، هو سحب الموارد من قدرات الإنتاج، ومن تكاليف المعيشة، ومن قدرة الليرة الشرائية، وهو يؤدي عملياً إلى تراجع في الموارد العامة..

العودة إلى سعر صرف 300 ليرة

إن تخفيض أسعار المازوت بهذه النسبة كفيلاً بتخفيض مستويات الأسعار بنسبة 32%، أي إعادة تكاليف المعيشة إلى ما يقارب 178 ألف ل.س شهرياً، وهي مستويات بداية عام 2016. لتستعيد الليرة السورية جزءاً من قدرتها الشرائية، ويعود سعر صرف الدولار إلى ما يقارب 300 ليرة مقابل الدولار. إن تحقيق أرباح من قطاع المحروقات في أوقات الحرب، هو سياسة تلغي نهائياً الأهداف المعلنة للسياسات الاقتصادية كلها، مثل

442 مليون دولار دعم مازوت

وبناء عليه فإن تخفيض أسعار المحروقات الحالية سيؤدي حتماً إلى انخفاض في المستوى العام للأسعار، فما تكلفه هذا الخيار اليوم؟! كنا قد أشرنا سابقاً إلى أن تكلفة استيراد حاجات المازوت لسورية خلال عام قرابة 260 مليار ليرة، أي حوالي 553 مليون دولار، وتخفيض أسعار المازوت بنسبة 80% أي إعادة سعر الليتر إلى 30 ليرة تقريباً، يحمل الخزينة أعباء تقارب 442 مليون دولار.

بأخذ مادة المازوت ذات التأثير الأعلى على مستويات الأسعار، فإن ارتفاعها خلال الأزمة من 15 ليرة للتر إلى 180 ليرة للتر، أدى إلى رفع مستوى الأسعار بنسبة 440%، وفق المعادلة التقديرية التي تقول أن رفع سعر المازوت بنسبة 1% يرفع المستوى العام للأسعار بنسبة 0,4%، ولذلك نستطيع القول، بأن ارتفاع أسعار المازوت خلال الأزمة بتأثيره على أسعار مختلف الخدمات والسلع وبالتالي على قدرة الليرة الشرائية، ساهم بنسبة 57% من تضخم تكاليف المعيشة.

380 مليون دولار دعم الغذاء يخفض الأسعار 10%

822

إن مبلغ دعم 822 مليون دولار سنوياً كافية لتخفيض سعر لبتن المازوت إلى 30 ليرة، سعر كغ الفروج إلى 600 ليرة اللحم إلى 3000 ليرة، الأرز 100 ليرة، والسكر 70.

-40%

إنفاق الدعم المذكور كفيلاً بتخفيض مستويات الأسعار بنسبة 40%، لتعود تكاليف المعيشة من 260 ألف ليرة شهرياً لأسرة من 5 أشخاص، إلى قرابة 160 ألف ليرة شهرياً.

266

ليرة إن عودة تكاليف المعيشة إلى مستوى 160 ألف ليرة سورية، يعني استعادة الليرة لجزء من قيمتها مقابل الدولار، حيث بناء على تضخم تكاليف المعيشة فإن سعر الصرف يعود إلى 266 ليرة مقابل الدولار.

100 مليون دولار وأعلاف الدواجن بنصف السعر

وفق الأسعار العالمية اليوم للذرة الصفراء والصويا وللمتممات، فإن تكلفة العلف في الكغ تبلغ 125 ليرة، وبعد إضافة تكاليف المتممات والنقل والتجفيف، فإن التكلفة تصل إلى 160 ليرة للكغ. أما سعر مبيع كغ العلف المحلي اليوم 230 ليرة للكغ في السوق السورية.

وبالتالي فإن تأمين 600 ألف طن في السوق المحلية، وهو مقدار مستوردات العلف بحسب تصريحات حكومية، يحتاج إلى تكاليف تبلغ: 96 مليار ل.س، أي حوالي: 204 مليون دولار.

حيث مولت وزارة الاقتصاد خلال نصف العام الحالي مستوردات التجار من أعلاف الدواجن بحوالي 105 مليون دولار.

إن تخفيض أسعار أعلاف الدواجن بنسبة 50%، وعبر الاستيراد المباشر لكامل الحاجات للمؤسسة العامة للأعلاف، عبر الخطوط الائتمانية أو عبر طرق استيراد أخرى، كفيلاً بتخفيض تكاليف الدواجن بنسبة 40%، أي إعادة التكلفة من 1100 ليرة للكغ، إلى قرابة 600 ليرة للكغ، ودون إجراءات من هذا النوع، فإن المستوردين المحترمين لأعلاف الدواجن، سيستمررون بطرد المنتجين من السوق، والذين لم يتبق سوى 10% منهم.

127 مليون دولار وتأمين حاجات الشعير المحلي

أما تأمين 600 ألف طن من الشعير محلياً -وهو أمر ممكن حيث أن إنتاج سورية من الشعير يقدره البعض في العام الماضي بمقدار 1.6 مليون طن- وبسعر للمزارعين 75 ليرة للكغ، وبسعر للمربين 50 ليرة للكغ، يشكل تكلفة 60 مليار ليرة، أي حوالي 127 مليون دولار، قادر على تخفيض تكاليف الأعلاف في تربية المواشي بمقدار 30%، وتخفيض تكاليفها على المستهلكين بنسبة قريبة، لإعادة التكلفة الوسطية لكغ اللحم الحمراء من 4300 ليرة، إلى 3000 ليرة للكغ، أي ليعود كغ لحم العجل إلى قرابة 1000 ليرة، والغنم إلى 3500 ليرة للكغ.

إن دعم الأعلاف بنسبة 50% للذرة



قياسية، وهي تشكل نسبة 43% من تكاليف الغذاء الضروري.

حيث أن اللحوم ارتفعت أسعارها بين عامي 2011 و 2016 بمقدار 885% تقريباً، أي أعلى من ارتفاع المستوى العام للأسعار، والسبب الرئيسي يكمن في أن عمليات تربيتها تراجعت إلى حد كبير، وتشير التقديرات إلى خسارة 60% من الثروة الحيوانية، بينما خسرتنا 90% من عدد منشآت تربية الدجاج وإنتاج البيض، لكن تراجع التربية يعود إلى عوامل تتعلق بالتكلفة أكثر مما ترتبط بالظروف الأمنية.

العامل الحاسم في الارتفاع القياسي لأسعار المنتجات الحيوانية، يكمن في حجم الاستيراد لمكوناتها، الذي يؤثر في حجم التربية، ويجعل سوق التهريب ناشطة موضوعياً، بسبب ارتفاع قياسي في التكاليف، وانخفاض كبير في الطلب وقدرات الاستهلاك المحلي.

تشكل الأعلاف نسبة 80% من التكلفة في الدواجن، ونسبة 75% للأغنام والأبقار، وهي العنصر الأساسي في التكلفة، وقد أصبحت متغيرة بشكل يومي مع تغيرات سعر الصرف في السوق السوداء، فما تكاليف دعم الأعلاف وما أثرها؟!

التقديرات الحكومية للإنفاق على الغذاء والمشروبات في عام 2011، كانت تقارب 12 ألف ليرة سورية للأسرة المكونة من 5 أشخاص، بنسبة 40% من مجموع الإنفاق الوسطي البالغ 30 ألف ل.س، وقد وصلت تكاليف الغذاء الضروري والمشروبات الأساسية فقط الشاي والقهوة في بداية شهر حزيران 2016 إلى 88600 ليرة، بتضخم بلغ: 640% تقريباً.

وهي نسبة مرتفعة، يساهم ارتفاع أسعار المحروقات فيها بنسبة كبيرة، إلا أن تكاليف الاستيراد تساهم مساهمة عالية التأثير، وسنركز على تأثير ارتفاع أسعار الأعلاف المستوردة، نتيجة الارتفاع القياسي في أسعار المنتجات الحيوانية، وكل من مادتي السكر والأرز باعتبارهما عنصران غذائيان رئيسيان ومستوردان بالكامل.

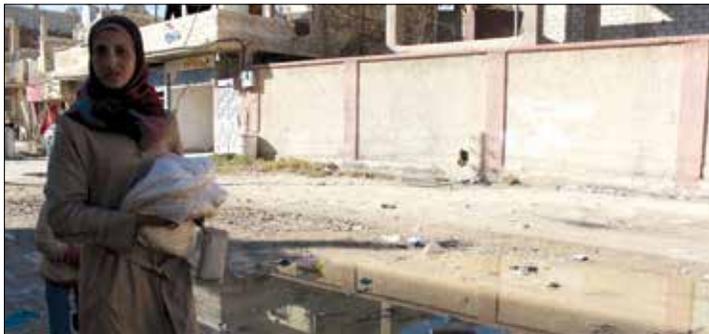
الأعلاف مستوردة احتكارياً واللحوم تضخمت 885%

كل المكونات الغذائية كلها ارتفعت أسعارها إلا أن ارتفاعات أسعار مكون اللحم سواء الفروج أو اللحم الحمراء، مع مكون البيض والأجبان والألبان، كانت ذات ارتفاعات

هل نملك 822 مليون دولار لتمويل الدعم؟!

41%

موازنة 2016 تضمنت بند الدعم الاجتماعي بمقدار 973 مليار ليرة، تعادل 2 مليار دولار بسعر صرف 470، وهذه المبالغ تم توفير جزء هام منها بعد تحويل المحروقات إلى قطاع رابح غير مدعوم، وتستطيع تغطية تكاليف الدعم السابق.



الموارد العامة لدعم المواد الأساسية، وهو ما يؤدي تلقائياً إلى تخفيض حصة الأرباح وإعادة توزيع الدخل. لأن هذه المسألة لم تعد اليوم «مطلباً اجتماعياً» فقط، بل أصبحت مفصلاً في تعمق الأزمة الاقتصادية في سورية والتي قد تؤدي بقيمة الليرة، وتؤدي إلى فوضى اجتماعية غير مسبوقة.

النسبة بكثير اليوم، مع التراجع المطلق في حصة الأجور.. تخفيض مستويات الأسعار، وزيادة قيمة الليرة، وقدرة المنتجين على الإنتاج، والمستهلكين على الاستهلاك، وإيقاف تدهور الوضع المعيشي الكارثي للسوريين، كان ممكناً سابقاً، وهو ممكن اليوم، ولكن له طريق وحيد، وهو استخدام

فموازنة سورية في عام 2016 رصدت للدعم الاجتماعي 973 مليار ل.س، وهي تقارب 2 مليار دولار، وفق سعر صرف 470 الحالي، ونسبة 78% من هذا الدعم قد تم توفيرها بعد أن أصبح قطاع المحروقات رابحاً، وبعد أن أصبح سعر المبيع الوسطي للكغ واط الساعي من الكهرباء، أعلى من التكلفة الوسطية لإنتاجه، وبعد أن تم إلغاء جزء هام من الدعم التموييني على السكر والأرز.

يمكن أن نضيف أن آخر التقديرات للجنة الإسكوا رصدت أن الناتج السوري في عام 2015 قارب 27 مليار دولار، بينما الحكومة ترصد في ميزانيتها أنها ستحصل من ضرائب الأرباح 57 مليار ل.س فقط، أي حوالي: 121 مليون دولار، وما نسبته 0,4% من الناتج الوطني، بينما يحصل أصحاب الربح على أكثر من 75% من الدخل المحقق اليوم، وهذا وفق حصتهم المقدره في عام 2010، والتي تفوق هذه

إعادة سعر لبتن المازوت إلى 30 ليرة، ودعم أعلاف الدواجن بنسبة 50%، ودعم نصف حاجات الشعير، والأرز والسكر بنسبة 50%، جوانب فقط من جوانب الدعم الممكنة لعناصر التضخم الرئيسية، وهي رفع أسعار المحروقات ورفع أسعار الغذاء وربطه بالدولار. ودعم هذه العناصر كفيلاً بتخفيض مستويات الأسعار بنسبة 40% بشكل مباشر، عدا عن تأثيراته اللاحقة على تخفيض مستويات الأسعار عندما يتوسع الإنتاج نتيجة انخفاض التكاليف، وانخفاض الطلب على الدولار في السوق نتيجة تقليص حجم الاستيراد..

والتكلفة الإجمالية لهذا الدعم خلال عام، وفق تقديرات قاسيون تبلغ 822 مليون دولار تقريباً، قد يبدو الرقم كبيراً، إلا أن مقارنته مع رقم الدعم المرصود في موازنة 2016، مع استمرار عقلنة الدعم، يوضح أن وفورات الحكومة من التشفير من الممكن أن تؤمن التكاليف.

تعتبر السياسات النقدية والمالية، أداة في خدمة المشروع الاقتصادي العميق لأصحاب الوزن الاقتصادي في رسم السياسات، وكلما زاد الاعتماد على هذه الأدوات، وتحويلها إلى أهداف كلما عكس ذلك تجاهل متعمد للمؤشرات الاقتصادية الحقيقية، هذا ما حصل في لبنان، وما يحصل في سورية اليوم..

من تجربة لبنان..

ما هي نهاية طريق أولوية السياسة النقدية والمالية؟!



ليلك نصر

يشير الاقتصادي اللبناني غسان ديبه في دراسة منشورة في مجلة الإعمار والاقتصاد بتاريخ حزيران 2016، إلى أن السياسات النقدية والمالية قامت على هندسة الاقتصاد اللبناني بعد الحرب وفي نهاياتها، مع التبعية الاقتصادية وعدم الاستقلال.

ادوات نقدية لبنانية أدت «للربعية»

ليعدد الباحث جملة من الإجراءات النقدية والمالية التي أدت إلى تراجع عمليات الإنتاج في القطاعات الحقيقية.. أهمها تثبيت سعر صرف العملة عند مستوى مرتفع، والسعي إلى تأمين تدفق الأموال الخارجية، وتمويل الخزينة عبر السندات، ورفع أسعار الفائدة لهذا الغرض، وكانت النتيجة أن مولت رؤوس الأموال سندات الخزينة الحكومية، لأغراض النشاط الخدمي الضيق لجهاز الدولة المتراجع في لبنان عن أداء مهامه الاقتصادية والاجتماعية، وحصل حاملو السندات على فوائد مرتفعة. وبالمقابل أدى ارتفاع سعر الفائدة إلى جعل تكاليف الإقراض للقطاعات الإنتاجية عالية جداً، فأصبحت منظومة الاقتصاد اللبناني التي تعتمد في الاستثمار والاستهلاك على الإقراض المصرفي، غير معنية بالاستثمار في القطاع الإنتاجي، بينما جهاز الدولة غارق بالدين العام ومنسحب تماماً من العملية الإنتاجية.

كما يشير الباحث اللبناني عبد الحليم فضل الله، إلى أن «أولوية الأهداف النقدية والمالية على الأهداف الاقتصادية والإنمائية» في النموذج اللبناني المستمر منذ مرحلة نهاية الحرب وإعادة الإعمار، كانت أهم الأسباب التي أدت إلى فشل برامج التنمية والإعمار في لبنان، حيث كانت تكلفة تثبيت قيمة الليرة اللبنانية أعلى من تكاليف الاستثمار، وفي هذا تناقض واضح، مع كون إعادة القيمة إلى الليرة اللبنانية يعتمد على حجم الاستثمار والإنتاجي منه تحديداً.. وكانت السياسة النقدية والمالية في لبنان هي سبب ونتيجة، لقرار القوى الاقتصادية اللبنانية في التركيز على أولوية ضيقة غير وطنية، في تحويل لبنان، وبيروت تحديداً إلى سوق مالي، ومركز خدمي لتكون النتيجة بأن حجم الودائع المصرفية في لبنان أصبح 250% من الناتج، ولم يتم إنجاز عملية إعادة الإعمار في لبنان.

سورية على الطريق ذاته؟!

السياسة الاقتصادية في سورية بدأت في السنوات الأخيرة تنحو هذا النحو،

بقوة في سورية، عبر السياسات التقشفية، وسحب الموارد من إمكانيات استهلاك الاجور.

وضبط سعر الصرف ومنعه من الارتفاع قد يتطلب استخدام احتياطي القطع الأجنبي لضخ الدولار في السوق، ولكن ليس إلى حد هدر 17 مليار دولار من القطع الأجنبي في سياسة لم تفلح سوى في إبقاء السعر الرسمي مواكباً لمتغيرات السوق، وحولت القطع الأجنبي لصالح قوى السوق المضاربة.

وحماية المنظومة المصرفية تتطلب السماح بتكوين احتياطي قطع أجنبي، ولكنها تتطلب أيضاً عزلها عن المضاربة، وتحفيز استخدام الودائع بشكل إقراضي إنتاجي تؤمن له شروط النجاح والسيادة في الظروف الأمنية المضطربة.

تشكل نسبة 90% من الأرباح، بأن هذا القطع يجري تداوله وتشغيله في سوق الدولار الداخلية.

علاج الأعراض يفاقم الأزمة

إن مجمل الأهداف السابقة لمواجهة العجز، وضبط سعر الصرف، وحماية الليرة، والحفاظ على النشاط المصرفي والمالي ومنع خسارته، هي أهداف مشروعة وضرورية، إلا أن المفارقة أن الأدوات السابقة، إن نفعت فهي لا تنفع إلا كعلاج مؤقت يمنع ظهور الأعراض، ولكنه يفاقم الأزمة وتحديداً عندما لا يرقق بحلول جذرية.. فمواجهة العجز قد تتطلب ضبط النفقات وتوسيع الإيرادات، ولكنها تتطلب بالمقابل إبقاء قدرة الاقتصاد على خلق الموارد، أي إبقاء النشاط الإنتاجي وقدرات الاستهلاك العامة، وهو ما يتم هرّه

أي نحو جعل الأهداف النقدية والمالية محوراً في السياسة الاقتصادية، وفي مقدمة المؤشرات على ذلك هو تكييف السياسات الاقتصادية كلها، وأياً كانت النتائج مع فكرة مواجهة العجز، عبر تخفيض النفقات الاقتصادية والاجتماعية العامة لحدود قصوى تقشفية، والسعي لتوسيع الإيرادات من رفع أسعار الخدمات والسلع الحكومية فقط.

يضاف إلى هذا وضع هدف نقدي، لمواجهة الاضطرابات الحادة في سعر صرف الدولار في السوق، بأدوات محدودة قائمة على المصرف المركزي فقط، الذي استخدم احتياطي القطع الأجنبي، للدخول في عملية العرض والطلب في السوق بأشكال مختلفة، مرة عبر البيع للمواطنين، ثم عبر شركات ومكاتب الصرافة والمصارف وغيرها.. وصولاً إلى السياسة الأخيرة القائمة على «حبس الليرة السورية» الموجودة في المصارف، وعدم الموافقة على طلبات سحب الأرصدة الكبيرة، وهو الإجراء الذي لم تتعبه السياسة النقدية والمالية في بداية الأزمة، عندما خرجت الكتلة الرئيسية

من الودائع في المصارف السورية. كما أن السياسات المالية أوقفت عمليات الإقراض بشكل شبه كامل، رغم استقرار نسبي في سيولة المصارف، وتركت للمصارف مجال عمل وحيث، هو استخدام احتياطي القطع الأجنبي الذي تم السماح بتشكيله، وتداوله خلال عام، وكانت النتيجة عدم اكتشاف خسارات المصارف العاملة وشركات التأمين، ولكن عبر المضاربة بالقطع الأجنبي على قيمة الليرة، حيث تشي أرباح المصارف الخاصة من تغيرات قيمة القطع الاحتياطي لديها التي

التمويل بالدين وسندات الخزينة..

تلتقي اليوم الكثير من الرؤى الاقتصادية عند آلية جديدة في السياسة المالية والنقدية يسوق لها على أنها الآلية الأهم لتمويل الخزينة العامة للدولة، وتحقق إلى جانب هذا زيادة الطلب على الليرة السورية، والحديث هنا عن الدين العام عبر سندات الخزينة، أي أن يصدر المركزي سندات خزينة، يقترض مقابلها من رؤوس الأموال، ويعيد لها فائدة، لتقوم الحكومة بتأمين إنفاقها بالدين..

من المشروع أيضاً استخدام الأموال الخاصة في دعم تمويل المال العام، إلا أن هذا الإجراء يكتنف على مخاطر إذا لم يتم الربط بين حجم نمو الدين، وحجم التراكم الاستثماري، والنمو الاقتصادي، ونمو الموارد العامة. ودون إيجاد مقياس دقيق للربط بين هذه المؤشرات فإن التمويل بالدين ذو آثار عالية السلبية من جانبين، الأول: زيادة أعباء الدين العام، وتحويل الموارد العامة لخدمة الدين، لأن رؤوس الأموال لا يمكن اجتنابها في المرحلة الحالية والمرحلة المقبلة إلا بفائدة عالية. والثاني: أن رفع أسعار الفائدة سيعيق استخدام السيولة لتحريك الإقراض باتجاه العمليات الإنتاجية، بسبب ارتفاع التكلفة. وكلا الجانبين يؤديان إلى زيادة العجز، وتراجع قدرات الدولة، وارتفاع سعر الصرف، وتراجع قيمة الليرة..

إن الإجراءات النقدية والمالية كلها، أياً كانت أهدافها الجزئية، تتقلب ضدها، إذا ما تعارضت مع عناصر الأزمة العميقة في الاقتصاد السوري اليوم، وهي تراجع قدرات الإنتاج والاستهلاك العامة، التي تحتاج إلى إجراءات معاكسة لكل ما تم اتباعه حتى اليوم، فالحل يكمن في تعبئة الموارد والدعم الحكومي الموجه للإنتاج الحقيقي والاستهلاك، وهذا لا يمكن أن يتم إلا بتقليص الأرباح التي تعتمد على المضاربة والربح والاحتكار في الطرف الحالي.

في حين يتوقع بعض السياسيين والخبراء قرارات هامة في قمة حلف شمال الأطلسي «الناتو» التي انطلقت في العاصمة البولندية وارسو يوم الجمعة 2016/7/8، وأن تكون قمة «تاريخية» للناتو، يراد لها أن تقرر أكبر خطة دفاعية للحلف منذ انتهاء الحرب الباردة، تتسم عملية التحول الجارية في «الناتو» بعدم اليقين الجيوسياسي، ولا تترك إلا مساحة صغيرة للمناورة.

«الناتو» يخض الماء في وارسو.. هل بدأ العد العكسي؟



يخض التحالف لهذه القمة منذ سنة على الأقل. وقد عقدت اجتماعات وزارية بانتظام لحلف شمال الأطلسي ومشاورات مع البلدان المشاركة. ومع ذلك سيكون من الخطأ الاعتقاد أن هذه الاستعدادات ستؤدي إلى أية إنجازات مهمة في هذا الاجتماع.

■ بقلم: كيريك زاريفوليت
إعداد: رنا مقداد

تترافق عملية تطوير «الناتو» مؤسساتياً وعقائدياً مع حالة التخبط العالمية السائدة - والتي تفاقمت بسبب خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي - ما يشير إلى عدم حصول إمكانية لأية إنجازات حقيقية، وخاصة مع زيادة الضغط من بعض الدول المشاركة لاتخاذ بعض القرارات التي طال انتظارها.

التحول في القرن الواحد والعشرين

لا يزال حلف شمال الأطلسي يعمل على تحقيق التكيف بين الخطط وبين المتغيرات التي حدثت منذ عام 2014. إلا إن المرحلة الحالية من التحول - والتي تعتبر عملية تطوير مؤسساتية وسياسية مستمرة مع عدم وجود أهداف واضحة - بدأت في العام 2008، عندما تولى الرئيس الأمريكي، باراك أوباما منصبه، حيث أجبرت الأزمة المالية العالمية الحكومات على شد الأحزمة. وقد جاءت الجرعة المنعشة في المفهوم الاستراتيجي للناتو «التشابك النشط والدفاع الحديث» والتي اعتمدت في قمة لشبونة عام 2010، «لتضع إطاراً» للتطوير، أخذة التحالف إلى مزيد من «الإصلاحات»، بهدف جعله أكثر مرونة وقابلية للتكيف مع المتغيرات الكبرى.

طريقة تعريف المخاطر التي تهدد الدول الأعضاء في الحلف جاءت بطريقة عامة جداً، حيث تضم المخاطر التقليدية «هجوم واسع على الدول الأعضاء بالقوات التقليدية أو النووية»، والتهديدات الجديدة «الإرهاب، وانتشار التكنولوجيا، وعدم الاستقرار في

الدول المجاورة»، وكذلك التحديات الجديدة «قدرات الإنترنت، تغير المناخ وأمن الطاقة». والجدير بالذكر أن أي من هذه المخاطر لم تحصل على الأولوية في الاحتمالات، نتيجة لصعوبة التنبؤ في عالم يتغير باستمرار.

اعتمد المفهوم الاستراتيجي لضمان استقرار حلف شمال الأطلسي على ثلاثة مكونات على القدر نفسه من الأهمية: الدفاع الجماعي، وإدارة الأزمات والأمن الجماعي التشاركي. وقد استند مفهوم «الدفاع الجماعي» على التزام المادة الخامسة من معاهدة واشنطن، التي تنص على أن «أي هجوم ضد أحد أعضاء الحلف.. هو هجوم ضد الأعضاء جميعهم»، ويشدد على ضرورة المحافظة على التفوق في القوات المسلحة.

أما بالنسبة لإدارة الأزمات، فقد رأى حلف شمال الأطلسي «الناتو» أنه أصبح رسمياً يشكل تحالفاً ينتشر على منطقة عالمية ويتحمل المسؤولية، ويمكن أن «يتصرف عند الضرورة» للتعامل مع الأزمات ذات التأثير على أمن التحالف.

ويهدف الأمن الجماعي التشاركي إلى المشاركة الفعالة في «تعزيز الأمن الدولي» من خلال الشراكات، وسياسة الباب المفتوح والسيطرة على الأسلحة، كما كانت من قبل، وفي الواقع هذا يمثل عودة إلى الإستراتيجية القديمة حول تشكيل البيئة الخارجية.

حدثت التغييرات الكبيرة في القوات المسلحة مع الإصلاحات في هيكل القيادة في الفترة 2010-2011 والمبادرة طويلة الأجل لـ«قوات حلف شمال الأطلسي عام 2020»، التي اعتمدت في قمة شيكاغو عام 2012. وبالإضافة إلى ذلك، تم إصلاح نظام الشراكة في العام 2011، والسماح للتحالف

ليصبح أكثر مرونة وأكثر تشاركية من خلال ضم ما أمكن من الشركاء. وفي هذا الإطار، قدم حلف شمال الأطلسي «نظام السلة» الذي بموجبه يقدم التحالف مجموعة من صيغ التعاون للشركاء المحتملين بحيث يمكنهم تحديد الخيار الأنسب لهم. وتهدف هذه التدابير لتحويل «الناتو» إلى تحالف عسكري وسياسي عالمي وقوي يقع في وسط «شبكة الأمن العالمي»، على الرغم من أن الكثير من العوامل والصيغ بقيت غير محددة.

التحديات في الشرق والجنوب

بغض النظر عن حجم الدعاية السياسية المرافقة لقمة الأطلسي حول أوكرانيا، يبدو أن الأزمة الحالية في أوكرانيا لم يكن لها ذلك التأثير الكبير على تطوير التحالف، على الرغم من شكاوى بعض قادة حلف شمال الأطلسي وبعض المسؤولين من الحلف وبعض الخبراء من الخارج. إذ أن الأحداث على الحدود الشرقية للناتو رفعت قليلاً من أهمية مهمة الدفاع الجماعي للكتلة، لكنها لم تسبب تغييراً كبيراً في الأهداف الاستراتيجية أو في الهيكل المؤسساتي للمنظمة. وعلى الرغم من الضغوط القوية من دول البلطيق وبولندا، فقد كانت استجابة دول حلف شمال الأطلسي للأحداث في أوكرانيا سياسية وليست عسكرية - على سبيل المثال، تم تغيير التركيز في قمة ويلز 2014 من أفغانستان إلى روسيا، وتضخيم الردع من خلال وصفه بـ«العنصرية».

في ذلك الاجتماع، وافقت دول حلف شمال الأطلسي على اعتماد خطة عمل الجاهزية، التي تهدف إلى ضمان الاستجابة الكافية للتغيرات في البيئة الأمنية. وفي إطار برنامج العمل الإقليمي، أنشأ الحلف قوة المهام المشتركة ذات الجاهزية العالية جداً، والتي يمكن توجيهها في غضون 48 ساعة.

وقد غير حلف الناتو منظوره ليصبح أوسع، فمن الواضح أن المسار العام للإصلاحات لم يتأثر بسبب الأحداث في أوكرانيا، حيث أظهرت هذه التدابير الجديدة التي قدمت في عام 2014 أهمية مواجهة التهديدات في الجنوب، إذ كانت «الدولة الإسلامية» تكتسب زخماً، والحروب الأهلية تدور رحاها في عدد من البلدان.

لن يخرجون بالشئ الكثير

تغير الوضع في مجالات الصراع هذه كلها منذ قمة ويلز، وهذا سيؤثر على مناقشة واتخاذ القرارات في قمة وارسو. بوضوح، أصبح الوضع في الشرق أكثر استقراراً ويمكن التنبؤ به. وقد أظهرت روسيا أنه ليس لديها نية لمهاجمة دول البلطيق (والتي لم تكن موجودة أبداً)، وأثبتت رغبتها في التعاون بشأن الصراع في منطقة حوض الدون. بالإضافة إلى ذلك، فإن اتفاق مينسك لا يزال سارياً ويجري تنفيذه، وإن كان التنفيذ بطيئاً. وفي الوقت الراهن ليس هناك حاجة لأية تدابير عاجلة من جانب التحالف في منطقة الصراع هذه.

في الجنوب، يستقر الوضع أيضاً، بمعنى أن «الدولة الإسلامية» لم تعد تتوسع بسرعة، وقد تم الاتفاق على هدنة بين الحكومة السورية والمعارضة. كما أن مشكلة اللاجئين والمهاجرين الناجمة عن عدم الاستقرار في المنطقة ليست ضمن نطاق مسؤوليات منظمة حلف شمال الأطلسي، والتحالف بشكل عام ليس في وضع يسمح له بالتصدي لها.

هناك تحديات جديدة يجب على الحلف مواجهتها مثل خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. وفي خضم استمرار عدم الاستقرار العالمي، من المرجح أن تتخذ قرارات متواضعة وموجزة ويتم التفاوض عليها بعناية في قمة وارسو لحلف شمال الأطلسي.

إذا استدرتم «بالتفجيرات جنناكم»!



سلسلة من العمليات الإرهابية ضربت السعودية يوم الإثنين 2016/7/4، عشية عيد الفطر في ثلاث مناطق متفرقة من المملكة، ذلك ضمن سلسلة أطول من التفجيرات استهدفت عدداً من الدول حول العالم خلال أقل من أسبوع.

■ هادي خضر

ويمكن استحضار أمثلة أخرى من هذا القبيل حول إشراف أجهزة مخابرات غربية ودولية على عمليات إرهابية حصلت في السنوات الأخيرة، والقصد من هذا هو نسف الافتراض الأول القائل باقتصار ظاهرة التفجيرات الإرهابية على صفة «الإجرام المنفلت».

وبالتالي، فإن الافتراض الثاني القائل بخلفيات سياسية محددة جداً كهذا أعمال هو الافتراض الأكثر واقعية، وأن أطرافاً دولية وإقليمية باستخدامها لهذا النوع الرديء من الرسائل ذات المضامين السياسية، تنبغي على الأقل أمرين:

الأول: أن دول الإقليم الحليفة للولايات المتحدة - كالسعودية وتركيا - تصبح أكثر فأكثر أمام استحقاقات داخلية وإقليمية كبرى، تكبر فرص حل هذه الاستحقاقات فقط بالتماهي مع الشكل الجديد من العلاقات الدولية خارج الفضاء المتشكل في العقدين الأخيرين بزيادة الولايات المتحدة، وبالتالي، فإن قوى الفاشية الجديدة الممانعة لهذه التغيرات، والموجودة في الغرب والولايات المتحدة والإقليم تبعث برسائل تهديد تهدف إلى إعاقة أو تأخير أية استدارة تركية وسعودية محتملة في خيارتهما الإقليمية والدولية.

الثاني: يكمن في الصراع داخل الولايات المتحدة نفسها، بين قوى الفاشية الجديدة، والجنح «العقلاني» اصطلاحاً، الباحث عن أفضل تموضع للولايات المتحدة في منظومة العلاقات الدولية، بما يتلائم مع وزنها الحقيقي كواحدة من الدول المؤثرة في السياسات الدولية، وليست المقرر الوحيد لها.

تحمل هذه الهجمات المتزامنة حول المنطقة في ثناياها عوامل متعلقة بالوضع الإقليمي والدولي العام، الذي يتسم بشكل أساسي بتغيير موازين القوى الدولية، والمواجهة بين قوى رأس المال العالمي الإجماعي، والقوى الدولية الصاعدة المتناقضة معه من حيث المصلحة، وترتبط هذه الهجمات لا شك بعوامل داخلية تتعلق بطروف كل دولة مستهدفة على حدة.

من جهة أخرى، فإن أحد النقاشات القديمة المتجددة لا يزال يفاضل بين ماهية هذه التفجيرات: هل هي مجرد أنشطة مرتبطة بحالة إرهاب إجرامي منفلت تقوم به جماعات متطرفة، أم أنها جبهة من جبهات الصراع الدولي المشتعل؟ وإذا صح الأخير فمن هي أطرافه ودوافعه؟

«تأديب» الحلفاء!

يمكن البدء باستعارة معلومات مهمة ظهرت بعد تفجير مطار أتاتورك في اسطنبول، والتي كشفت عن هوية «المنظم» لهذه العملية: أحمد تشاتاييف، وهو عميل أجهزة الخدمات الخاصة الجورجية في عهد الرئيس ساكاشفيلي، وقد صرح بذلك رئيس اللجنة البرلمانية للدفاع والأمن القومي في جورجيا. وتشير تقارير أخرى إلى أن المنظم مطلوب لدى أجهزة الأمن الروسية، ويدهمه رئيس جهاز أمن الدولة الأوكراني السابق ناليغابيتشينكو، المشرف على إنشاء «القطاع الأيمن» الفاشي في أوكرانيا.

والعودة إلى الحالة الملموسة في السعودية، فإن الكم الهائل من المشاكل الذي راكمته المملكة نتيجة اندفاعها إلى صلب الساحات المشتعلة في الإقليم، يقتضي بالضرورة من السلطة السياسية في المملكة البحث عن شكل جديد من النشاط الداخلي والإقليمي، الذي من الواضح أنه يتركز أكثر فأكثر بعيداً عن تقاليد البوح والهمس الأمريكي، وبالتالي، فإن هجمات كهذه تشكل ضربة استباقية لانتفاخ سعودي «محتمل»، سبقه بوضوح بداية التفاف تركي إجباري نحو إعادة العلاقات مع روسيا، وهو ما استدعى تلقي تركيا لعصى التأديب الفاشية في اسطنبول.

وبالعقد على الملامسة في السعودية، فإن الكم الهائل من المشاكل الذي راكمته المملكة نتيجة اندفاعها إلى صلب الساحات المشتعلة في الإقليم، يقتضي بالضرورة من السلطة السياسية في المملكة البحث عن شكل جديد من النشاط الداخلي والإقليمي، الذي من الواضح أنه يتركز أكثر فأكثر بعيداً عن تقاليد البوح والهمس الأمريكي، وبالتالي، فإن هجمات كهذه تشكل ضربة استباقية لانتفاخ سعودي «محتمل»، سبقه بوضوح بداية التفاف تركي إجباري نحو إعادة العلاقات مع روسيا، وهو ما استدعى تلقي تركيا لعصى التأديب الفاشية في اسطنبول.

وبالعقد على الملامسة في السعودية، فإن الكم الهائل من المشاكل الذي راكمته المملكة نتيجة اندفاعها إلى صلب الساحات المشتعلة في الإقليم، يقتضي بالضرورة من السلطة السياسية في المملكة البحث عن شكل جديد من النشاط الداخلي والإقليمي، الذي من الواضح أنه يتركز أكثر فأكثر بعيداً عن تقاليد البوح والهمس الأمريكي، وبالتالي، فإن هجمات كهذه تشكل ضربة استباقية لانتفاخ سعودي «محتمل»، سبقه بوضوح بداية التفاف تركي إجباري نحو إعادة العلاقات مع روسيا، وهو ما استدعى تلقي تركيا لعصى التأديب الفاشية في اسطنبول.

من القطيف إلى المدينة المنورة

رغم أن هذه التفجيرات ليست بالجديدة تماماً، بعد أن عانت المناطق الشرقية في

تبعث قوى الفاشية برسائل تهديد تهدف إلى إعاقة أو تأخير أية استدارة تركية وسعودية محتملة في خياراتها الإقليمية والدولية

هل تنطفئ النيران اليمنية قبل التهام الخليج؟

الدولية عدلت على شكلها مراراً وتكراراً، وفي كل مرة كانت أوراقتها تقدّم للوفود المفاوضة لتقييمها وتقديم المقترحات والتعديلات، لتعود البعثة الدولية بورقة ذات توافق أعلى في كل مرة، حتى وصلت الأوراق المنقّحة إلى العقدة الأضعب والتي لا يمكن تقاسمها تماماً بين الوفود المفاوضة، الحديث هنا عن العلاقة بين صلاحيات الرئيس هادي وصلاحيات الحكومة الوطنية المنتظرة، وهنا تماماً يعلو صراخ المفاوضين على المنابر الإعلامية.

في هذا الصدد، تعلن جماعة «أنصار الله» تمسكها بالقضايا الجوهرية المعنية مشاورات الكويت بحلها، وفي مقدمتها مؤسسة الرئاسة، بينما يرد وفد الحكومة بأولوية تسليم المدن والسلاح من قبل «أنصار الله» هروباً من مناقشة الجانب السياسي أنف الذكر، وبين هذا وذاك، ينتقل المبعوث الدولي بأوراقه بين الجانبين، لانتزاع الاتفاق الكيفي قبل أن تصل الأزمة اليمنية إلى كارثة تتعدى الحدود اليمنية نحو الخليج المترنح أصلاً من الناحية السياسية والأمنية، مما يؤدي إلى فرض الحل السياسي دولياً بأثمان كبيرة ستدفعها القوى السياسية الممانعة للحل.

اليمنية تتضمن استمرار وقف إطلاق النار «الهنش أصلاً»، وضمن العودة إلى الكويت بعد انقضاء عطلة العيد.

وفي السياق نفسه، التقى سفراء الدول الـ18 الراعية للتسوية السياسية بالوفد المشترك لجماعة «أنصار الله»، وحزب الرئيس السابق، علي عبد الله صالح، فيما التقى وكيل وزارة الخارجية الأمريكية، توماس شانون، والمبعوث البريطاني إلى اليمن، ألن دنكن، بالوفد الحكومي الرسمي. أي أن الأهم حدث، والمفاوضات ستستمر، رغم احتدام المعارك على الأراضي اليمنية بعد تعليق المفاوضات بساعات، وقد توارت هذه الخطوات مع تصعيد إعلامي من أطراف التفاوض اليمني، بعكس ما يدور بينهم وبين الجهات الدولية والإقليمية، فالوفود المفاوضة تؤكد في كل لقاء لها مع أحد الرعاة الدوليين إصرارها على إحلال السلام في اليمن، والوصول إلى حل سياسي كما حدث في لقاء الأمين العام للأمم المتحدة، بان كي مون، الذي زار المفاوضين في الكويت.

وطوال شهرين من المفاوضات، ظلت خارطة الطريق المرتكزة إلى قرار مجلس الأمن 2216، هي الأساس في أية جولة تفاوضية، لكن البعثة



المفاوضات في شهر نيسان الماضي، وعدم العودة إلى المربع الأول.

وفي هذا الصدد، انتزعت البعثة الدولية إلى اليمن - قبل مغادرة الوفود أراضي الكويت - الموافقة على ورقة التزامات من الأطراف

■ وائل سعد

قبل عودة الوفود المفاوضة إلى اليمن، جرت جملة من التحركات الإقليمية والدولية التي من شأنها تثبيت التقدّمات الحاصلة منذ انطلاق

توقفت المحادثات اليمنية- اليمنية المقامة في الكويت توقفاً اضطرارياً بسبب حلول عيد الفطر، فيما أكدت مصادر مقربة من الوفود المفاوضة على استكمال المفاوضات في 15/ تموز الجاري، بحسب المبعوث الدولي إلى اليمن، اسماعيل ولد الشيخ أحمد.

الصورة عالمياً



• أعلن وزير التجارة الخارجية الفرنسي، ماتيياس فيكل، يوم الثلاثاء 2016/7/5، إنه «من المستحيل أن ينجز الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة مفاوضات اتفاقية التجارة الحرة عبر الأطلسي بنهاية 2016».



• أكد الممثل التجاري الأمريكي، مايكل فورمان، إمكانية انضمام بريطانيا بعد «Brexit» إلى اتفاقية التجارة الحرة المعروفة باسم «الشراكة عبر المحيط الهادي»، والتي تضم 12 دولة بقيادة الولايات المتحدة.



• قتل خمسة رجال شرطة بالرصاص خلال احتجاجات في مدينة دالاس الأمريكية، احتجاجاً على مقتل رجلين من أصول إفريقية برصاص الشرطة، فيما أصيب سبعة شرطيين آخرين ومدني على الأقل بجروح.



• أعلن رئيس الوزراء الفرنسي، مانويل فالس، يوم الثلاثاء 2016/7/5، أن حكومته استخدمت «إجراءً دستورياً» يتيح لها فرض قانون العمل المعدل المثير للجدل دون تصويت برلماني.



• ذكر منظمو «حركة الكرامة» الإسبانية يوم الخميس 2016/7/7 أنهم يعتزمون تنظيم مظاهرات تعبيراً عن رفضهم لزيارة الرئيس الأمريكي، باراك أوباما، المرتقبة لإسبانيا تحت شعار «أوباما عد لديارك».



• دعا الرئيس الفنزويلي، نيكولاس مادورو، إلى خوض «حرب غير تقليدية» لتطوير الحرب الاقتصادية من قبل اليمين وأوساط الأعمال المدعومة أمريكياً، والتي تقضي بمفاقمة نقص السلع في البلاد.

استهدافات شرق آسيا.. تهديد للخصوم الاستراتيجيين



نقلت وسائل الإعلام العالمية قبل أيام خبر حدوث تفجير في ملهى ليلي في العاصمة الماليزية كوالالمبور، أثناء مشاهدة مباراة كرة القدم بين إيطاليا وإسبانيا في كأس الأمم الأوروبية، وقد أكدت الحكومة الماليزية تورط تنظيم «داعش» في هجوم يعد الأول من نوعه لتنظيم فاشي جديد في جنوب شرق آسيا. السؤال المطروح هنا ما هي الظروف التي تطف خلف تسخين الصراع في شرق وجنوب شرق آسيا؟

■ الان كرد

«النمر الماليزي»، هو الاسم الذي أطلق على التجربة الاقتصادية الماليزية بعد ثلاثين عاماً من تطبيق ما يسمى «الاقتصاد الإسلامي»، إذ اعتمد هذا الاقتصاد على تقييد عمل البنوك الخاصة عبر تجريم «اقتصاد الربا»، وتقول بعض التقارير أن ماليزيا حققت نمواً سنوياً بنسبة 6% حتى أصبحت تعتبر واحدة من أهم الدول الصناعية النامية. كما نجحت ماليزيا بتخفيض نسبة الفقر من 49% عام 1970، إلى 5% عام 2004، وحرصت السياسات الاقتصادية على تأمين السكن اللائق للناس، وانخفضت معدلات البطالة إلى 2,4% عام 2001. وأثناء الأزمة المالية الخانقة التي ضربت جنوب شرق آسيا عام 1997، أظهرت ماليزيا خطأ آخر في التعامل مع الأزمات، إذ رفضت أجنحة صندوق النقد الدولي والاقتراض، وتوجهت جزئياً إلى تحجيم الفساد وإصلاح الجهاز الإداري للدولة ومحاربة المضاربات على عملتها في الخارج.

مدمر العملات ضد صعود «آسيان»
بدأ جورج سوروس بالعمل على النيل من العملة الماليزية في عام 1997، كخطة استراتيجية للوقوف أمام صعود منظمة «آسيان» والتدخل في شؤونها، واصفاً رئيس الوزراء الماليزي، مهاتير محمد، وسياساته بأنها خطر على ماليزيا.

تسببت خطة سوروس وصندوقه المالي بانهيال العملة التايلندية «البات»، فحين توقع المضاربون أن البات سيتراجع أمام الدولار قاموا ببيعه مقابل شراء الدولار. وعلى الرغم من أن المصرف المركزي في تايلاند استخدم احتياطاته من العملة الأجنبية لدعم البات، غير أن البات كان قد عوم فعلاً، وتسبب ذلك في هزة مالية سرت في الأسواق الآسيوية كلها، وهو ما عرف بأزمة 1997 التي تسببت بانهيال عدد من العملات الآسيوية أمام الدولار. هذا الصعود لم ترتح له واشنطن

عبثاً الخلاص من مفاعل التغيرات التي تجري في موازين القوى الدولية على الصعيد العالمي.

التحركات في شرق آسيا

أعلنت واشنطن وسيؤول، يوم الجمعة 2016/7/8، أنهما توصلتا إلى اتفاق ستنتشر بموجبه الولايات المتحدة درعاً متطورة مضادة للصواريخ في كوريا الجنوبية «للتصدي للتهديدات المتزايدة»، في وقت اعتبرت بيونغ يانغ العقوبات الأميركية المفروضة على زعيمها «إعلان حرب».

بدأت واشنطن وسيؤول في شهر شباط الماضي بحث إمكانية نشر منظومة «ثاد» المتطورة المضادة للصواريخ بعد إجراء كوريا الشمالية تجربة على صاروخ بعيد المدى اعتبرت بمثابة تجربة بالستية. ومنذ تجربة كوريا الشمالية النووية الرابعة في 6 كانون الثاني، يشهد الوضع تصعيداً مستمراً. على هذه الأرضية، قالت وزارتا الدفاع الأميركية والكورية الجنوبية في بيان مشترك، أنهما قررتا «كحليفين نشر منظومة ثاد... كإجراء دفاعي لضمان أمن كوريا الجنوبية وشعبها». ولم يوضح البيان متى وأين تحديداً ستنتشر هذه الدرغ، مكتفياً بالإشارة إلى أن البلدين في المرحلة الأخيرة من عملية اختيار الموقع.

هذا، وحاولت سيؤول وواشنطن تبديد مخاوف قوى أخرى مثل الصين وروسيا اللتين تنظران إلى الدرغ الصاروخية بعين الريبة، وتضعانها في خانة استعراض الولايات المتحدة لعزلاتها العسكرية في المنطقة، إذ قال البيان إنه «عندما تنتشر منظومة ثاد في شبه الجزيرة الكورية سيكون تركيزها محصوراً فقط بالتهديدات النووية والصاروخية الكورية الشمالية ولن توجه باتجاه أية دولة ثالثة»، فيما أعلنت الصين إدانتها لنشر المنظومة، وطالبت بوقفه، معتبرة أن هذه المنظومة ستلحق أضراراً فادحة بالأمن الإقليمي، وتطلق سباً إلى التسلح.

بالأحوال كلها والتي رأت في ذلك «نضالاً جديداً من أجل الاستقلال عن فوضى التجارة العالمية» في البلدان النامية، وقد انتقد مهاتير محمد رئيس الوزراء الماليزي لدى افتتاحه قمة مجموعة ال-15 عام 1997 ما وصفه بالإمبريالية الجديدة وحملها مسؤولية تدمير العملات الآسيوية.

الولايات المتحدة وصعود الصين

وقعت بلدان جنوب شرق آسيا للتعاون الاقتصادي «آسيان» مذكرة إطلاق تجمع اقتصادي موحد في المنطقة بتاريخ 12 تشرين الثاني 2015 على أن يبدأ العمل فيها في مدة أقصاها حتى 31 كانون الأول، كما عززت هذه المذكرة التعاون بين بلدان آسيان، وتأتي استمراراً للخطوات التي أحرزتها في إطار التكامل، حيث أزيلت الحواجز الجمركية، إضافة إلى تيسير شروط التأشيرة بين بعض الدول الأعضاء في إطار المنظمة.

رأت الولايات المتحدة موضوع إطلاق التجمع الاقتصادي الموحد في جنوب شرق آسيا وقضية الجزر الصينية في المحيط الهادئ صعوداً للصين على حساب تراجعها هي في هذه المنطقة، في ظل وضوح مؤشرات عديدة على انتقال الصراع إلى منطقة المحيط الهادئ ولعل أبرز مؤشرات كانت ارتفاع النزعة العسكرية اليابانية الجديدة ونشاط التنظيمات الفاشية الجديدة التي شكلت تفجيرات ماليزيا أول ظهور لها.

استهداف من؟

كانت ماليزيا واحدة فقط من مجموعة دول جرى استهدافها مؤخراً في القارة الآسيوية، وبالنظر إلى تلك الدول، يمكن الاستنتاج أن تلك التفجيرات تستهدف تحديداً الدول القريبة من النفوذ الحيوي لخصوم واشنطن الاستراتيجيين، أي عملياً، نتحدث هنا عن دول المحيط الروسي والصيني، التي باتت اليوم مهددة من قبل الأوساط الفاشية الجديدة التي تحاول

يمكن الاستنتاج أن التفجيرات تستهدف تحديداً الدول القريبة من النفوذ الحيوي لخصوم واشنطن الاستراتيجيين أي عملياً دول المحيط الروسي والصيني

لماذا الاتجاه شرقاً؟ هذه قصة بوريسوف



قبل أسبوعين من انعقاد قمة حلف شمال الأطلسي «الناتو» في وارسو، فجرت بلغاريا فنبلة من العيار الثقيل، عبر إعلانها بأن البلاد ليس لديها الرغبة بالمشاركة في إنشاء أسطول دائم للحلف في البحر الأسود، وهو الموضوع الذي شهد محادثات طويلة استغرقت أشهراً، لم تكن تعلن خلالها بلغاريا مثل هذا التوجه.

■ سعد خطار

يعد بويكو بوريسوف السياسي البلغاري الأكثر معاداة لروسيا، فخلال فترة حكمه، تم باستمرار دفن المشاريع الرئيسية للتعاون الروسي-البلغاري جميعهم. ودمرت قراراته المتسارعة نتائج سنوات من العمل ومليارات من الدولارات من الاستثمارات. وإذا كان من الممكن للكاملين بسهولة فرض القرارات اللازمة على بوريسوف، فلماذا لم يتم فرضها، عندما رفض بوريسوف نفسه بناء خط أنابيب نפט «بورغاس-الكسنروبوليس» الواعد؟ أو بناء محطة «بيلين» للطاقة النووية؟ أو خط غاز «السييل الجنوبي»؟ حيث أن أسلافه في حكومة الاشتراكيين استمروا في العمل على «السييل الجنوبي»، حتى بعد ضم شبه جزيرة القرم وبعد أحداث دونباس، على الرغم من حظر الاتحاد الأوروبي. ولكن فور فوز بوريسوف في الانتخابات جرى وقف البناء فوراً. لماذا لم يستخدم الكرملين نفوذه في ذلك الحين، وانتظر قضية أسطول حلف شمال الأطلسي في البحر الأسود؟ في الحقيقة، فشل مشروع الأسطول الدائم بسبب المشاكل الداخلية، الاعتيادية ليس فقط بالنسبة لبلغاريا ولكن أيضاً بالنسبة للعديد من أعضاء حلف شمال الأطلسي الشرقيين الآخرين. حيث هناك عاملان لرفض بلغاريا هذا المشروع، الأول: هو الخلافات الإقليمية الحادة بين دول بلغاريا وتركيا ورومانيا، والثاني، وهو الأهم: تمس الحكومة البلغارية للتغيير الحاصل في الموازين الدولية، وبأن طريق «واشنطن» بات لا يعود عليها إلا بالمزيد من الأزمات.

وفق المنطق الإعلامي الغربي تبدو تهمة «الضغط الروسي» جاهزة لتفسير الظواهر «الناشئة» عن المنطق السائد والمألوف من التبعية التي تبديها دول أوروبا الشرقية لواشنطن ودول المركز الأوروبية. وهذا ما خلصت إليه العديد من وسائل الإعلام الغربية التي سارعت إلى تفسير رفض بلغاريا المشاركة في أسطول البحر الأسود بـ«الضغوط الروسية».

لماذا غيرت بلغاريا رأيها؟

في الواقع، أفشلت بلغاريا هذا المشروع مؤخراً، لأنه وفقاً لاتفاقية «مونترو» لعام 1936، يحق للسفن الحربية من الدول غير المطلة على هذا البحر، أن توجد فيه لفترة لا تزيد عن واحد وعشرين يوماً. وهذا يعني أن إنشاء أسطول حلف شمال الأطلسي الدائم، سيقع على عاتق ثلاثة دول فقط، هي رومانيا وبلغاريا وتركيا، والسفن من الدول الأخرى ستضم في بعض الأحيان لهم. ما يعني عملياً استنزافاً لبلغاريا التي تعاني أصلاً من أزمات اقتصادية كبيرة دون أن يقوم الاتحاد الأوروبي بأي واجب اتجاهها.

قال رئيس الوزراء البلغاري، بويكو بوريسوف، إنه غير معجب بتوجه هذا الأسطول المعادي لروسيا. وكان هذا الخطاب غريباً بعض الشيء، إذ إن بوريسوف هذا، آخر من يمكن له الوقوف مع روسيا، نظراً لاعتبارات عديدة.

من سنة إلى أخرى، أغلق بوريسوف مشاريع الطاقة الروسية واحداً بعد الآخر «خط أنابيب النفط، وخطوط أنابيب الغاز، ومحطة الطاقة النووية»، والغرب لا يرى ضرورة لتقديم شيء في المقابل، باستثناء دعم الاتحاد الأوروبي لوصول بلغاريا مع نظام نقل الغاز في رومانيا. كان هناك اعتقاد لدى بوريسوف أن بإمكانه، بدلاً من المشروع الروسي، بناء مركز للطاقة على الساحل البلغاري في منطقة البلقان، ما من شأنه تقريب وجهات توصيل الغاز من روسيا، ومن بحر قزوين وإيران. إلا أنه يناقش باستمرار الفكرة مع الزعماء الغربيين، وهم فقط بأبد يوافقون على كلامه ولا يقومون بأية خطوات عملية للمساعدة في التنفيذ. وهكذا يستمر الأمر لسنوات عديدة: بوريسوف واثق تماماً من أنه ينفذ الالتزامات كلها أمام الغرب، ولا يفهم لماذا لا يحصل على شيء في المقابل!..

حاله حال التابعين لواشنطن..

صادف أنه في مساء اليوم السابق لإعلان بلغاريا قرارها حول الأسطول، منحت محكمة التحكيم التابعة لغرفة التجارة الدولية، روسيا مبلغ 550 مليون يورو كتعويض من بلغاريا. وهذا أن بوريسوف أنهى الاتفاق على بناء محطة «بيلين» للطاقة النووية. وقد أغاه تحت ضغط قوي من الغرب، من ثم وجد فجأة أن أحداً لا يسعى في المقابل لحل مشكلة إمدادات الطاقة لبلغاريا، أو وقف ارتفاع أسعار الكهرباء، أو دفع تعويضات للروس. أنعس شيء لبوريسوف في هذه القصة، هو أن الزيادة الحادة في تعريفات الكهرباء في عام 2013 في بلغاريا، تسببت باحتجاجات جماهيرية، انتهت باستقالته، وأدت إلى بقائه ما يقرب من العام في صفوف المعارضة.

بوريسوف واثق تماماً من أنه ينفذ الالتزامات كلها أمام الغرب ولا يفهم لماذا لا يحصل على شيء في المقابل!..

رحلة المكومين إلى إفريقيا

على البحر الأحمر من طرف، أو دول منبع النيل، مما يعيها مكانه استراتيجية بالنسبة للكيان، ورسالة للبحر المصري بأنه يمتلك موطناً قدام على البحر الأحمر، فقد كانت إثيوبيا مكان صراع طويل بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي من أجل السيطرة على البحر الأحمر والتجارة العالمية، والإكيد أن الكيان يحاول فتح علاقات في أفريقيا للضغط على القوى الإقليمية ك مصر والسعودية. وفي ستينات القرن الماضي، إبان نكسة 1967، قطعت الدول الإفريقية العلاقات مع الكيان، وبسبب دعم الكيان لدولة الفصل العنصري بجنوب إفريقيا، ساءت العلاقات بين دول القارة والكيان، وهذا الأخير له دور وظيفي موضوع من مشغليه الدوليين هو الحفاظ على المصالح الغربية في محيطه، والكيان لن يخرج عن هذه الوظيفة، وبما أن المصالح الغربية لا تتسجم مع مصالح شعوب إفريقيا، فإن الغالب أن التقارب بين إفريقيا والكيان هو أمر مرحلي، سرعان ما سيصطدم بالمصالح العميقة لشعوب القارة.

وأفريقيا، في محاولة منه لكسب السياسي بمحيطه، وهذا ما نوه له نيتناو حيث قال: «لما كنت سفيراً بالأمم المتحدة كان الكيان له علاقات مع ثمانين بلداً، أما اليوم فنحن نقيم علاقات مع أكثر من 164 بلداً»، متحدثاً عن تحسن العلاقات مع كوريا وفيتنام واليابان. لكن ما يحاول نيتناو مواربته هو أن العلاقة الاستراتيجية مع بلد واحد منتصر، خير من العلاقات التي تربطه مع عدد كبير من الدول التي تدور في فلك القطب المتراجع على الصعيد العالمي، مما يعني أن الكيان قد أصبح يبحث عن علاقات كان في السابق لا يكتف بها، وعلى الرغم أن إفريقيا قد رفعت القطبية السياسية مع الكيان منذ تفكك الاتحاد السوفيتي، وفتحت سفارات لها في الكيان، إلا أن الكيان كان منكباً على تركيز عمله في سياق توطيد العلاقات مع المحيط الأقرب إليه، أما اليوم، فيجد نفسه باحثاً عن «حلفاء» له أيضاً وجدوا.

زيارة دول البحر الأحمر ومنبع النيل: رسالة لمصر

زار نيتناو خمس دول تتميز بأنها تقع



هو تحسين وضعه الإقليمي وحضوره الدولي، قبل نزوح الحلول التي أصبحت قريبة جداً.

الباحث عن حلفاء

الكيان مأزوم، لأن الرياح تجري بغير مشتهاه، فهو الآن يكثف تحركاته صوب إنهاء القطبية السياسية مع الكثير من الدول في آسيا

■ عماد بيضون

مع اتفاق القوى الكبرى لحل أزمات المنطقة - بحكم موازين القوى الدولية الجديدة وتراجع واشنطن عن كونها القوى الأولى والوحيدة عالمياً- لا يستطيع الكيان إيقاف هذا الانشقاق بين الدول الكبرى، ليبقى أمامه خيار وحيد

بعد انقطاع لمدة عشرين عاماً يعود رئيس وزراء الكيان الصهيوني، بنيامين نتنياهو، مجدداً لفتح علاقاته مع القارة الإفريقية، حيث يزور خمس دول: هي أوغندا ورواندا وإثيوبيا وكينيا وإفريقيا الجنوبية، مستقبلاً زيارته بعدد من الإجراءات، وبخطاب قال فيه إن الكيان «يعود لإفريقيا وإفريقيا تعود إلى إسرائيل»، فلماذا هذه الاستفاضة تجاه إفريقيا، وما الذي يحمله نتنياهو في زيارته؟

تم نشر التقرير الرسمي للجنة حكومية يرأسها السير جون تشيلكوت في المملكة المتحدة حول حرب العراق. وأظهر تقرير تشيلكوت رسمياً أن الغزو البريطاني للعراق جرى تحت ضغط الولايات المتحدة، وهو متعارض مع المصالح الوطنية للبلاد. إذ لم يكن هناك أي سبب لغزو العراق، سوى النزعة إلى اللحاق بواشنطن.

«تشيلكوت» دليل على انهيار الإمبراطورية الأمريكية



يقول التقرير بوضوح أن قرار استخدام القوة، وهذا فرار خطير جداً بالنسبة لأية حكومة، قد سبب جدلاً عميقاً فيما يتعلق بالعراق، وأصبح الجدل أكثر إثارة عندما تبين لاحقاً أن برامج العراق لتطوير وإنتاج المواد الكيميائية والبيولوجية والأسلحة النووية كان قد تم تفكيكه فعلاً.

الصحيح هو الدعم الكامل وغير المشروط من المملكة المتحدة والسعي إلى إقناعها من الداخل.

رياح التغيير

رسمياً، فقد كان ينبغي أن ينتهي التحقيق العام لتشيلكوت قبل سبع سنوات. إلا إنه قد جرى تأجيل نشره مرات عدة بسبب موقف الولايات المتحدة. والآن أصبح بتصريف الرأي العام. وهكذا، فإنه يعكس تراجع الهيمنة الأمريكية لأن تراجع الحليف الأكثر ولاءً - المملكة المتحدة - في العامين الماضيين يدل على أن انهيار النظام الذي مقره الولايات المتحدة هو مسألة وقت، والعالم يستعد لعالم جديد.

إن نشر هذا التقرير الرسمي من اللجنة التي شكلتها حكومة غوردون براون، يشكل حالة تعتمد النخبة البريطانية الحريضة على النأي بنفسها عن الولايات المتحدة وسياساتها. وداخل تلك النخبة التي لديها علاقات وثيقة جداً مع الولايات المتحدة. وفي الحقيقة فإن في المملكة المتحدة أشخاص يتطلعون نحو مستقبل ما بعد الولايات المتحدة، وهم ذاتهم الذين دفعوا في اتجاه قرار بريطانيا للمشاركة في المشروع الصيني للاستثمار في البنية التحتية في البنك الآسيوي، خلافاً لإرادة الولايات المتحدة.

تجدر الإشارة إلى أن قيادة المملكة المتحدة قد أصبحت تابعة طوعاً للولايات المتحدة، وسلمت للأميركيين دور السلطة في البحر. لذلك لا شيء سيمنعها من مغادرة الولايات المتحدة عندما ترى ذلك ضرورياً. حيث إن ضعف الولايات المتحدة أدخل قواعد جديدة للعبة. وهذه القواعد يفضل إنشاؤها عندما تكون العملية لا رجعة فيها. والتغيرات في بريطانيا تظهر هذه الحقيقة علناً.

وزير الشؤون الخارجية البريطاني، جاك سترو، في ذلك الوقت على تشويه المعلومات الواردة في الوثائق الرسمية، من أجل إقناع صانعي السياسات والجمهور على الحاجة للعمل في العراق:

عندما رأى مشروع ورقة الدول الموقعة على أسلحة الدمار الشامل في 8 آذار، علق السيد سترو: «جيد، ولكن لا ينبغي أن يكون العراق أولاً، وأيضاً لا ينبغي أن يكون لديه أكثر من نص؟ إن الورقة تحتوي على وجود تهديد استثنائي من العراق. وهو لم يبقَ بذلك حتى الآن».

في 18 آذار، قرر سترو أن الورقة التي تخص العراق ينبغي أن تصدر قبل التعامل مع البلدان الأخرى المعنية. ويوم 22 آذار، نصح سترو بأن الأدلة لن تقنع الرأي العام بأن هناك تهديداً وشيكاً من العراق. فتم تأجيل النشر.

دمى الولايات المتحدة

كان السبب الوحيد لغزو العراق هو الرغبة العارمة لدى الولايات المتحدة للقيام بذلك. ويبين التقرير بوضوح كيف تغيرت وجهة نظر القيادة البريطانية في العراق تحت تأثير الجانب الأمريكي، حيث دعت الاستراتيجية إلى فرض «عقوبات ذكية» قبل الغزو. وفي الوقت نفسه، ذكرت المخابرات البريطانية أن العراق لا يشكل أي خطر حقيقي.

وقال تشيلكوت إن قرار بلير بالمشاركة في غزو العراق تأثر برغبته في حماية العلاقة بين المملكة المتحدة والولايات المتحدة. وقد برر الدعم غير المشروط بالقلق من أن المناطق الحيوية للتعاون بين المملكة المتحدة والولايات المتحدة قد تتضرر إذا لم تقدم المملكة المتحدة الدعم الكامل للولايات المتحدة في العراق.

كان الاعتقاد أن أفضل وسيلة للتأثير على السياسة الأمريكية لتتجه نحو الاتجاه

المملكة إلى هدف مفضل لهم وستتسبب بعدد كبير من الضحايا، وبتفتيت العراق. لقد تم تقديم النصيحة لبلير، أنه من المتوقع أن يزيد الغزو من الأخطار على المملكة المتحدة ومصالحها من قبل تنظيم «القاعدة» وحلفائه. وخلص تقييم لجنة الاستخبارات المشتركة حول التصدي لافاق المستقبل إلى ما يلي:

«...سوف تشكل القاعدة والجماعات المرتبطة أكبر تهديد إرهابي للمصالح الغربية، وسيتم ازدياد هذا التهديد من جراء عمل عسكري ضد العراق. إن التهديد الواسع من الإرهابيين سوف يزداد أيضاً في حالة نشوب حرب، وسينعكس تكثيفاً للمشاعر المعادية للولايات المتحدة والغرب في العالم الإسلامي وفي الجاليات المسلمة في الغرب. وهناك خطر بنقل المواد الكيميائية والبيولوجية أو الخبراء أثناء أو في أعقاب الصراع، وبالتالي تعزيز قدرات تنظيم القاعدة».

عمل عدواني مستند للكذب المتعمد

استند الغزو على أكاذيب متعمدة وتلاعب بالرأي العام. حيث أعلن السير، جون تشيلكوت، في عرضه لنتائج التحقيق أن سياسة المملكة المتحدة تقوم على «معلومات استخباراتية وتقييمات محددة، لم يكن الطعن فيها ممكناً، ولا يجوز ذلك».

اعتمدت المملكة المتحدة على معلومات مشوهة عمداً حول التهديد المزعوم الذي يشكله العراق. وعلى وجه الخصوص، أصر

ترى لجنة التحقيق أن الخيارات الدبلوماسية لم تكن قد استنفدت في تلك المرحلة. ولم يكن العراق ذا صلة بشبكات إرهابية دولية. وقال التقرير إن العراق لم يكن يمتلك أسلحة دمار شامل يمكن استخدامها في أعمال إرهابية، ولم يكن يشكل أي تهديد على المملكة المتحدة. وقد كان هذا رأي أجهزة الاستخبارات البريطانية:

قال السير ديفيد أومان، منسق التعاون الأمني والاستخباراتي في مكتب رئيس الوزراء 2002-2005 للجنة التحقيق في آذار من عام 2002، إن تقديرات الأجهزة الأمنية كانت ترى أن «التهديد الإرهابي من جهاز الاستخبارات الخاصة بصدام في حالة وقوع تدخل في العراق.. سيكون محدوداً ويمكن احتواءه».

كانت «القدرة على شن هجمات إرهابية فعالة» من قبل صدام حسين «محدودة جداً». وكانت «القدرة على الإرهاب» من قبل العراق «غير كافية لتنفيذ هجمات بيولوجية أو كيميائية، أما محاولات الاغتيال الفردية فكانت تتم باستخدام السموم الكيماوية».

يعرفون العواقب

يؤكد التقرير أن أجهزة الاستخبارات البريطانية قدمت لرئيس الوزراء التحليلات اللازمة كلها حول الآثار المترتبة على قرار غزو العراق. وعلى وجه الخصوص، أشارت التقارير أن الإطاحة بصدام حسين قد تؤدي إلى زيادة حادة في أعداد المنظرين وتحويل

وجدتها

د. عرب المصري



تنافس.. تعاون.. إيثارة!!

يرتكز الفكر الرأسمالي على فكرة أساسية تقول: أن التنافس هو سيد الموقف، وعليه فالتنافس الحر هو الطبيعي بين البشر، وأي من العلاقات الأخرى هي دخيلة على العلاقات البشرية، وغالباً ما كان يتم جلب أمثلة من عالم الحيوان من أجل إثبات «أصالة» هذه الطبيعة البشرية وتعمقها، وحين تجلب دليلاً علمياً كهذا يسكت الناس لأن الأدلة دامغة، لكن عدم قول الحقيقة كلها لا يعني الحقيقة، فهذا نوع من العلم الزائف لأنه منقوص، وهذا نوع من الخطاب الإعلامي الذي هو غائي حتماً باتجاه إثبات وجهة نظر محددة، وليس دليلاً علمياً لأن الدليل العلمي يأخذ جوانب الظاهرة جميعها بعين الاعتبار، مع أوزانها وحركيتها حتماً. من الأمثلة التي اكتشفت في الإيثارة في المجموعة توجد في الخفافيش، فهي تذهب للبحث عن كائنات تمتص منها الدماء بعضها يكون محظوظاً، وبعضها لا يحالفه الحظ، ذلك الخفاش الذي لا يحالفه الحظ قد يموت خلال ثلاثة أيام إن لم يجد الطعام الكافي، لذلك حينما تعود الخفافيش لمسكنها، يقترب الخفاش العطشان من الخفاش المرتوي، فيحضنه، ويلعق فمه، فيبدأ الآخر بتقديم الدم له ليشرب، وقد لاحظ العلماء أن الخفافيش تقوم بهذا العمل رغم عدم وجود رابطة أسرية بين الإيثارين. وقد لاحظوا أيضاً أن الإيثارة تبادل، حيث أن الخفاش الذي عطش اليوم، سيرد الجميل للخفاش المرتوي إن هو عطش في يوم آخر. وكذلك فقد نشرت مقالة علمية حول تجربة حديثة تبين أن خاصية الإيثارة بين الأصدقاء موجودة بين الفئران، فقد جرب العلماء بوضع فأرين بفرفرتين صغيرتين، واحدة بها ماء، والأخرى جافة، وبينهما باب لا يمكن فتحه إلا من الغرفة الجافة، الفئران بطبعها لا تحب الماء، ستعمل ما بوسعها للسباحة حتى لا تغرق، ولكن بعد أن يكتشف الفأر الموجود في الغرفة طريقة فتح الباب فإنه يفتح الباب ليخلص زميله. وحينما وضع العلماء الطعام في غرفة ثالثة بالقرب من الغرفة الجافة، فإن الفأر في معظم الأوقات يختار أن يفتح الباب لزميله أولاً، ثم يذهب لتناول طعام. أي أنه فضل أن ينقذ صاحبه على أن يأكل الطعام أولاً، ولا تستهين بهذا العمل، فجازبية الطعام بالنسبة للحيوانات كبيرة جداً.

المدارس والتعليم في التاريخ القديم «بلاد الشام والرافدين»



في كتابه المعنون المدارس والتعليم في التاريخ القديم «بلاد الشام والرافدين» الموجه للناشئة والذي أصدرته الهيئة العامة للكتاب للكاتبة نزار مصطفى كحلة

نظام المدرسة السومرية-الأكادية طور النضج والازدهار.

نظام التعليم في المدرسة

يبدو أن التعليم في هذه المدارس كان لقاءً أجر «مدارس خاصة»، عدا عن الهدايا الإضافية الواجب تقديمها إلى المعلمين، وهذا يعني أن التعليم لم يكن متاحاً لطبقات المجتمع كافة، وخاصة الفقراء. وقد كانت المدارس تدعى بالسومرية «دوب-سار» وبالأكادية «توفشارو»، والاسمان يدلان حرفياً على الذي يحفر العلامات الكتابية على الألواح الطينية «فعل سار يعني كتب» ثم أطلق على المعهد التعليمي، اسم «أدب-با» والكلمة سومرية، وتعني بيت الألواح أو دار الألواح، وربما منها أتت كلمة «أدب» في اللغة العربية.

الهيئة التدريسية

كان مدير المدرسة في السومرية يدعى «أوميا» أي الخبير أو الأستاذ، ومن ألقابه أبو المدرسة، فيما يلقب التلميذ بآب المديسة، كما وجد في المدرسة موظفون منهم: الأخ الكبير الذي يكتب الألواح للتلاميذ كي ينسخوها، وكان يفحص الواهم ويسمع لهم دروسهم، فيما يقوم موظف آخر بالإشراف على الرسم، إضافة إلى المشرف على اللغة السومرية، ووجد أيضاً الرجل الموكل بالسوط أو الناظر الذي يحافظ على النظام.

ومن الألواح التي كتبها الطلاب يمكن أن نستنتج بأن البرامج الدراسية كانت تحوي قسماً في العلم والبحث، وقسماً في الأدب والتأليف، ونجد في بعض الألواح أسماء النباتات والحيوانات والحشرات والمعادن والحجارة والمواقع، إلى جانب ألواح في الحساب والنحو. وقد كانت الدراسة باللغتين «اللغتين» السومرية في البداية والسومرية والأكادية فيما بعد، خاصة في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد 2500-2000 ق. م.

بتاريخها إلى الفترة السومرية القديمة 3200 ق. م، والفترات اللاحقة لها والمدونة بنصوص مدرسية، وهي تلقي الضوء على استخدامها لتدريب الطلاب المبتدئين. كما وردت في نصوص أخرى إشارات إلى وجود المدرسة منذ العصر السومري، كمؤسسة تعليمية، بعضها أمثلة من نصوص خصصت للإشادة بأهمية المدرسة. وقد كشف عن أول وثائق مكتوبة في مدينة أوروك، وتتألف هذه الوثائق من أكثر من ألف لوح صغير من الطين منقوش بالكتابة التصويرية، أكثرها يحتوي على أجزاء من مذكرات اقتصادية أو إدارية، ولكن وجد من بينها جملة ألواح تشتمل على جداول بكلمات دونت لغرض الدراسة والتدريب، أي أن بعض الكتب في زمن موغل في القدم، حوالي 3000 ق. م، كانوا يفكرون بعقلية تتضمن طرق التعليم والتدريس.

ومن هذه النصوص الطريفة، حرزوة سومرية، وهي كالاتي: «بيت بأسس كالسما... البيت الذي يشبه إوزة واقفة على قاعدة متينة، يدخلها المرء بعيون مغلقة... ويخرج بعيون مفتوحة... فما هي؟: الإجابة-المدرسة».

وما إن حل منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، حتى ظهر عدد كبير من المدارس في بلاد سومر وأكاد جميعها، إذ صارت الكتابة تدرّس تدريجاً منتزماً. ففي مدينة شوروباك، وفي التنقيبات التي أجريت هناك عام 1902-1903 عثر على عدد كبير من الألواح المدرسية التي كان يدرس فيها تلاميذ المدارس، ويرجع تاريخها إلى عام 2500 ق. م، على وجه التقريب. كما كشفت أعمال التنقيب في أماكن أخرى عن حجرة دراسية يعود تاريخها إلى حوالي 2000 ق. م، وجدت على أرضها ألواح طينية لبنين وبنات، فيها حكم أخلاقية تحث على الفضيلة.

المهم في الأمر أن النصف الأخير من الألف الثالث قبل الميلاد 2500-2000 ق. م، كان هو الوقت الذي بلغ فيه

يتحدث الكتاب عن ظهور فكرة الكتابة فيقول: في الربع الأخير من الألف الرابع قبل الميلاد، حوالي 3200 ق. م، توصل سكان مدينة أوروك السومرية إلى صيغة مبسطة للتواصل بين الناس، تمثل حالة من الكتابة التصويرية البدائية، والتي تطورت فيما بعد، وخاصة مع دخولنا الألف الثالث قبل الميلاد إلى كتابة رمزية، ومن ثم مقطعية متطورة، قادرة بشكل كبير على نقل ما يفكر فيه الناس وما يجول بخاطرهم، إضافة إلى تسجيل أحداثهم وتدوين أساطيرهم ومعتقداتهم.

وتعد الكتابة المسمارية أهم محصلة حضارية كبرى حققها إنسان بلاد الرافدين القديم. وقد عرفت الحضارة العربية السومرية الوركاء، قبل هور التديون في أية منطقة من العالم. وذلك قبل أكثر من 5000 سنة حيث عثر في الطبقة الرابعة «ب» من المدينة المذكورة، وفي أحد معابدها على أكثر من 1000 رقم طيني، تتضمن وثائق اقتصادية بأقدم أنواع الكتابة وبأبسط أشكالها، وهي الكتابة التصويرية حوالي 3200 ق. م. في العصر المسمى الشبيه بالكتابي، ويشمل هذا الدور النصف الثاني من عصر الوركاء وعصر «جمدة نصر» 2950-3200 ق. م ويظهر أن الحاجة هي التي دفعت بالسومريين إلى اختراع الكتابة، وذلك لتسجيل وضبط واردات المعابد وحساباتها، وغير ذلك مما يتعلق بالشؤون الاقتصادية، لأن المعبد كان مركز الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية آنذاك.

المدارس الأولى في بلاد الرافدين

لا يعرف بالضبط متى بدأ نظام المدارس في العراق القديم، وتشير المعلومات الواردة في النصوص إلى أن المدرسة كانت معروفة منذ بداية استخدام الكتابة وسيلة للتدريب حوالي 3000 ق. م. ويضم المتحف العراقي أعداداً كبيرة من الرقم الطينية التي تعود

بيت بأسس كالسما... البيت الذي يشبه إوزة واقفة على قاعدة متينة، يدخلها المرء بعيون مغلقة... ويخرج بعيون مفتوحة... فما هي؟

ماذا تفعل داعش في الويب العميق؟

يقال أن الإنترنت هي من أخطر الأماكن وأقذرهما، ولكن لدى الإنترنت سر كبير تفسى في التسعينات وهذا السر يسمى بـ «الديب ويب» الويب العميق.



■ بشير خواجه

وهو عبارة عن مكان في الإنترنت يحتاج لبرامج خاصة لدخوله صنع هذا المكان من قبل الاستخبارات الأمريكية في تسعينات القرن الماضي. صنع الويب العميق لتعقب الأشخاص وأفعالهم عن طريق مواقع خاصة، ولكن هذا المكان تحول في غضون عدة سنوات إلى عبارة عن جنة للمقرضين والمهكرين ومواقع السوق السوداء والمنظمات الإرهابية إلخ. مثال على ذلك تجارة المخدرات حيث يوجد في أوروبا آلاف من شركات المتاجرة بالمنوعات والأسلحة المتوفرة منها. فأكبر مصدر حالي للمخدرات هو ألمانيا وأكبر بائع للأسلحة هي أوروبا، حيث تباع الأسلحة بأسعار بخسة. وعلى سبيل المثال: الباردة الروسية السلاح المشهور تباع في بلدان العالم كلها بسعر من 3000 إلى 5000 دولار، أما في هذه السوق السوداء فتباع بأسعار تتراوح من 400 إلى 1000 دولار بهذه الطريقة يساعدون على تفعيل النشاطات الإرهابية، عداك عن بيع المخدرات والمتاجرة بالبشر. وطريقة شراء السلاح كاش أو بالدفع الإلكتروني.

ما هو الويب العميق؟

ليس الإنترنت هو ما تراه فقط. انه أيضاً ما لم تشاهده. هناك الكثير من المعلومات التي لا تظهر في محركات البحث العادية. فيسمى الويب العميق. وله الكثير من المعلومات المفيدة، نعم. ولكن هناك العديد من المخاطر التي ينبغي تجنبها بأي ثمن. يشكل الويب العميق الصفحات كافة التي لا تستطيع محركات البحث مثل جوجل، ياهو، وهلم جراً أن تراها. وهذا ممكن لأن العديد من الصفحات أو الوثائق مصممة لتبقى مخفية عن الباحثين عنها. أي أن هناك من لا يريدون أن تكون موادهم أو وثائقهم شعبية أو من السهل العثور عليها. حيث تتطلب العديد من هذه الصفحات، كلمة مرور ليتم عرضها. الويب العميق ليس صغيراً. على العكس

الكثير من بيانات الأرصاد الجوية، والبيانات الاقتصادية.

ما المخاطر الخفية؟

هناك معلومات عن الأنشطة الإجرامية أيضاً: مبيعات المخدرات، المواد الإباحية، الاعتداء الجنسي على الأطفال، بيع وتصنيع الأسلحة، الخ. هذه المعلومات هي خطيرة جداً على القاصرين، تشكل الصفحات الجنائية نسبة ليست بالصغيرة من الويب العميق. الطريقة الأكثر شيوعاً للغوص العميق للويب هي من خلال متصفح تور. إنه المتصفح الذي يتيح الاتصالات المجهولة المصدر والوصول إلى هذه المعلومات دون أن يترك أثراً.

من ذلك ففي عام 2000، كان الويب العميق يساوي حجمه 45 مرة حجم الويب السطحي «الذي نستخدمه»، ولكن اليوم تضخم حجم الويب العميق رغم نمو ظواهر مثل الشبكات التواصل الاجتماعية، بلوق وجوجل

ولكن ... ما هو الموجود في الويب العميق؟ ما الذي يمكن العثور عليه هناك، ولماذا لا يريد مستخدموا الويب العميق أن يكون من السهل الحصول على تلك المعلومات! الكثير من المعلومات من قواعد بيانات الويب العميقة يتم إخفاؤها. يتم تخزين جزء هام آخر، كمية كبيرة من المعلومات عن منظمات، مثل وكالة ناسا. يمكنك أيضاً العثور على

تم على يد داعش في الأسبوع الماضي إغراق خمسة جنود سوريين في حوض مائي كبير في حلب. المئات من الجنود والمدنيين.

أخبار العلم



فيزيولوجيا الإنسان مرتبطة بنفسيته

توصل العلماء إلى أدلة جديدة حول ارتباط فيزيولوجيا الإنسان بحالته النفسية، وذلك بعد إجراء دراسة على متطوعين يعانون من مرض السكري من النوع الثاني. وأجرى الباحثون دراسة على متطوعين تمت دعوتهم إلى المختبر وتم تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات، وسحبت منهم الأجهزة التي يمكنها أن تدهم على التوقيت الحقيقي كالهواتف الذكية والأجهزة اللوحية، وبعدها طلب منهم اللعب بألعاب الفيديو لمدة 90 دقيقة، ولكن ساعات المختبر أظهرت لمجموعة واحدة التوقيت الصحيح، وفي المجموعة الثانية أخرجت الساعة 45 دقيقة وفي المجموعة الثالثة قُدمت الساعة 90 دقيقة. وقد تبين أن مستوى السكر في دم مرضى السكري من المتطوعين مرتبط بالتوقيت الوهمي لا الحقيقي، إذ أن مستوى السكر في دم المتطوعين الذين اعتقدوا أنهم قضوا 180 دقيقة في لعب ألعاب الفيديو أدنى من مستواه في دم أولئك الذين اعتقدوا أنهم قضوا 45 دقيقة فقط في هذه الألعاب. وأشار العلماء إلى أنهم حصلوا على هذه النتائج بأن أخذوا بعين الاعتبار عدة عوامل، على سبيل المثال، مستويات التوتر لديهم. واعتبر العلماء ما توصلوا إليه في دراستهم هذه دليلاً جديداً على ارتباط فيزيولوجيا الإنسان بحالته النفسية.



الكشف عن أسرار التجارب النووية

تعرف علماء الفيزياء في مختبر لوس ألاموس الأمريكي القومي على كشف الآثار المخفية للتجارب النووية التي كانت قد أجريت منذ نصف قرن وتحديد قدرتها. وذلك عن طريق قياس نسبة نظائر الموليبدنوم والزركونيوم في المكان الذي وقع فيه انفجار نووي. أجريت عالمياً منذ أيلول عام 1945 نحو 2500 ألف تجربة نووية يعود ثلثها إلى تجارب نووية تحت-أرضية و520 تجربة أجريت في الجو. وقد تعلم العالم هيو سلمي وزملاؤه العثور على آثار انفجارات كهذه وكذلك تقييم قوتها. وذلك في محاولة للكشف عن سر تفجير أول قنبلة نووية في صحراء جرنادو ديل مويرتو. ويقول العلماء إن قوة هذا الانفجار النووي تتراوح بين 8 كيلوطن و61 كيلوطن. ويصعب الآن تحديد قوته الحقيقية لانحلال الآثار الإشعاعية الناتجة عنه كلها. لكن الفريق أوضح أنه ليس كل الآثار قد اختلفت. فقد اتضح له أن أي انفجار نووي يؤدي إلى ظهور نظيري الزركونيوم القصيري العمر «الزركونيوم -95 و الزركونيوم -97»، اللذين يتحولان سريعاً إلى موليبدنوم -95 و موليبدنوم -97. استناداً إلى هذا المبدأ استطاع الفريق تحديد القوة الدقيقة للانفجار النووي الذي وقع في صحراء جرنادو ديل مويرتو، وهي 22.1 كيلوطن من مادة التروتيل.



جدول فناء البشرية

قام العالم الروسي أليكسي تورتشين بصياغة ووضع مخطط على غرار جدول مندلييف، يجمع في بوتقة موحدة كل الأسباب المحتملة كلها لفناء البشرية جمعاء. وأثار النظرية الجديدة اهتمام بعض الباحثين البريطانيين، وهي تقول إن من بين الأسباب المحتملة لفناء البشرية جمعاء، ليس فقط ظاهرة الاحتباس الحراري و«الشتاء النووي» بل و«الهلام الرمادي» الذي تفرزه تكنولوجيات النانو العلاجية عندما تصبح خارج نطاق السيطرة. وقال العالم إن الجدول الذي وضعه تضمن حوالي مئة سبب محتمل ويمكن لموت البشرية. وفي الأساس توجد عوامل مختلفة مميتة يمكن أن تنتشر بسرعة في أنحاء العالم جميعها منها: الأمواج الضاربة والإشعاعات والصدمات الحرارية، والتسمم، وغيرها. وهناك الكثير من السيناريوهات الافتراضية التي بعضها مستبعد جداً. وأما الأسباب الرئيسية فهي حوالي عشرة، بما في ذلك ارتفاع شديد في درجات الحرارة بسبب ازدياد وجود غاز الميثان، وانتشار الأوبئة والتوهجات في الشمس ووقوع حوادث خلال تنفيذ تجارب عملية وغيرها. ويرى الخبير أن البشرية بالذات هي أكبر مصادر الخطر الذي يحيق بها.

غسان كنفاني الحاضر.. الغائب!



«لقد حاولت منذ البدء أن أستبدل الوطن بالعمل، ثم بالعائلة، ثم بالكلمة، ثم بالعنف، ثم بالمرأة، وكان دائماً يعوزني الانسحاب الحقيقي. ذلك أن الانسحاب الذي يهتف بنا حين نصحو في الصباح: لك شيء في هذا العالم فقم. أعرفته؟ وكان الاحتيال يتهاوى، فقد كنت أريد أرضاً ثابتة أفق فوفها، ونحن نستطيع أن نخدع كل شيء ما عدا أقدامنا، إننا لا نستطيع أن نقنعها بالوقوف على رفاق جليد هشة معلقة بالهواء.. سأظل أناضل لا سترجاعه لأنه حقي وماضي ومستقبلي الوحيد.. لأن لي فيه شجرة وغيمة وظل وشمس تتوفاً وغيوم تمطر الخصب، وجذور تستعصي على القلع».

• غسان كنفاني

لماذا لم تدقوا الجدران؟!

يفكر أبو الخيزران في إلقاء جثثهم في الصحراء لكنه يتراجع حتى لا تنهشها الضواري ويقرر أن يلقي بها فوق أول مزبلة يقابلها على الحدود ليسهل اكتشاف الجثث ويتم دفنها، وبعد أن يلقي بهم فوق المزبلة ويسير قليلاً.. يعود ليجردهم من الساعات والأموال.. وينطلق بسيارته مبتعداً وهو يتساءل بدهشة: لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟ وتردد الصحراء النداء يدين غسان كنفاني في روايته الأطراف التي تسببت في نكبة فلسطين كلها، القيادات العاجزة، والخائنة، وأولئك الذين تخلوا عن الأرض ليجثوا عن خلاصهم الخاص!!

«رجال في الشمس» رواية قصيرة لكنها محكمة، ليس بها كلمة واحدة زائدة أو موقف بلا معنى أو عبارة إنشائية، والكاتب لا يلجأ للشعارات أو المباشرة، ولكنه يوضح موقفه من خلال السرد الروائي الذي تتداوله شخصيات الرواية والكاتب، كما أنه يعتمد بشكل كبير على المنولوج الداخلي في سرد الأحداث، وواضح أيضاً أن الكاتب استفاد من تقنية السيناريو السينمائي فحكى روايته بالصورة قبل كل شيء آخر، ولعل هذا من الأسباب المهمة التي جعلت المخرج المصري توفيق صالح يتحمس للرواية ويقرر أن يصنع منها فيلماً.

المخدوعون!!

حاول فيلم «المخدوعون» المأخوذ من رواية «رجال في الشمس» أن يكون أمياً مع العمل الروائي، وقد التزم المخرج بالعمل الروائي وتفصيله وبرسمه للشخصيات وتسلسل الأحداث فيه إلى حد كبير. حصل الفيلم على الجائزة الذهبية بمهرجان قرطاج للأفلام العربية والأفريقية سنة 1973، واختير كواحد من أهم مائة فيلم سياسي في تاريخ السينما العالمية. هؤلاء الرجال ماتوا وهو يبحثون عن خلاصهم الشخصي بعيداً عن المكان الحقيقي الذي يجب أن يكونوا فيه، ماتوا وهم يبحثون عن الفتات في مواجهة الثراء الفاحش المتمثل في خزانات النفط.

البصرة إلى الكويت، حالماً بالحصول على النقود التي يبني بها بيتاً ويشترى شجرات زيتون جديدة!

أسعد المطارد، الشخصية الثانية في الرواية، شاب مناضل تطارده السلطات بسبب نشاطه السياسي، أما «مروان» فهو فتى في المرحلة الثانوية يضطر لتترك المدرسة والذهاب إلى البصرة ليدخل منها إلى الكويت بمساعدة المهربين حتى يعمل وينفق على أمه وإخوته الصغار..

القيادة العاجزة الانتهازية!

«أبو الخيزران» سائق ماهر، عمل في الجيش البريطاني، وعمل مع الفدائيين فأصيب بقنبلة أفقدته رجلته وأعطته كل مرارة العالم، فكره نفسه، وجعل كل طموحه في تكوين ثروة.

يقدم غسان كنفاني شخصية «أبو الخيزران» كنموذج للقيادة العينية الانتهازية التي تدعي التفكير في المجموع في حين أنها تسعى إلى مصالحها الشخصية ولا تابه بالآخرين ومشاكلهم.

يتفق أبو الخيزران مع الثلاثة، لينقلهم في سيارة نقل مياه قديمة متهاكة وبها خزان ضخم فارغ، حيث سيختفي فيه أبطال الرواية الثلاثة ليعبروا نقطة الحدود العراقية والكويتية. يبقى اثنان فوق الخزان ويجلس معه الثالث، وهكذا بالتبادل طوال الطريق في صحراء ترسل شمسها لهيباً قاتلاً، وقبل أن يصلوا إلى نقطة الحدود بخمسين متر يدخلون الخزان، وعليه أن ينهي الإجراءات فيما لا يزيد على سبع دقائق ثم يسرع بالسيارة ليخرجهم من الخزان بعد 50 متراً من نقطة الحدود.

وتنجح الخطة في نقطة الحدود العراقية، يختبئون في الخزان، يكادون يختنقون، ولكن يمر الأمر بسلا، وعند الاقتراب من نقطة الحدود الكويتية يعطل موظف عابث «أبو الخيزران»، فيتسبب في موت الثلاثة اختناقاً في خزان المياه بسبب تأخر «أبو الخيزران» عليهم.

تبرز أهمية غسان كنفاني الذي تمر ذكرى استشهاده على يد الموساد الإسرائيلي في الثامن من شهر تموز، لكونه وثق فنياً مرحلة التهجير واللجوء، وتجاوز خطاب التفجع والبكاء وانتظار الإغاثة، مؤسساً لفكرة المقاومة في أعماله. كانت حياته القصيرة وإبداعه أقرب إلى عاصفة في التعبير عن حالة الشغف بالحياة، تماهت تجربته الشخصية مع التجربة الجمعية إلى درجة يصعب فصل الواحدة عن الأخرى. وهو يشكل حالة استثنائية في اقترابه المباشر من حرارة التجربة وكتابتها، من دون أن تحترق أجنحة الفن في كتابته.

«رجال في الشمس»

لم يبق التساؤل الشهير: «لماذا لم يدقوا جدران الخزان؟» في رواية غسان كنفاني «رجال تحت الشمس»، مجرد عبارة في رواية تحمل الهم الفلسطيني، ربما يصلح هذا التساؤل اليوم شعاراً لتوصيف الكثير من أشكال الموت، الموت قتلاً أو قهراً أو لجوءاً.

طابقت القصة التي حدثت في الرواية قبل أكثر من نصف قرن، كثيراً من القصص التي راح ضحيتها عشرات اللاجئين والهاجرين من الموت، فالقصص كثيرة والموت واحد، رجال ونساء وأطفال في عرض البحر، وآخرون في شاحنة حقيقية اتخذت وجهة جديدة هذه المرة! قنائب سفر أو صناديق مشحونة في طائرة أو سفينة إلى بلاد اللجوء الكثيرة، أشكال كثيرة وعناوين مختلفة يجمعها الموت.

«أبو القيس» أولى الشخصيات التي تعرضها الرواية، رجل فقد بيته وشجرات الزيتون التي يملكها وأصبح يعيش مع زوجته وابنه في المخيمات، ورغم أنه يحلم بعودة ما كان، لكنه في النهاية يستجيب للضغط الذي يمارسه عليه أحد العائدين الأغنياء وحالة الفقر المدقع التي يعانها، يسافر إلى العراق محاولاً أن يجد فرصة ليهرب عبر الحدود العراقية الكويتية من

باختصار..!



تخريج الدفعة الأولى

من طلاب مدرسة الفن المسرحي

قدم طلاب مدرسة الفن المسرحي عرض تخرجهم للمرحلة الأولى في مقر المدرسة الكائن بمدينة جرمانا، وجرى اختيار مشاهد من المسرح الواقعي ليقوم طلاب المدرسة بأدائها في امتحانهم الأول بعد ستة أشهر من التدريبات اليومية.

تضمن العرض التدريبي مشاهد من مسرحيات تماثيل الحيوانات الزجاجية وقطة على صفيح ساخن، ووشم الورد لتينسي وليامز، إضافة إلى مشاهد من مسرحيات النورس وبستان الكرز والخال فانيا والشقيقات الثلاث للكاتب الروسي أنطون تشيخوف ومشاهد من مسرحيتي البطة البرية وأبولو الصغير لهنريك إبسن.

تأسست المدرسة 2009، إذ يتم حالياً تشكيل فرقة مسرحية تقدم عروضاً متواصلة وسيقوم أعضاءها مستقبلاً بتدريب طلاب جدد وتقديم عروض للجمهور.

وتضم المدرسة اليوم تسعة عشر طالباً وطالبة وتتراوح مدة الدورة ثلاثة أشهر وتصل إلى ستة أشهر ويدرس فيها عدد من أساتذة الفن المسرحي في سورية. ونوه مديرها بالجهود التي قدمها كل من الفنان بسام كوسا الذي شارك في لجنة قبول الطلاب إضافة إلى المخرج محمد عبد العزيز والفنان زهير العمر.



«المختبر الخامس عشر»

قدم طلاب قسم الرقص في المعهد العالي للفنون المسرحية مشروع تخرجهم لهذا العام بعنوان «المختبر الخامس عشر»، وأعاد العرض المقدم على مسرح فواز الساجر ألق الأيام الخوالي التي عاشها قرابة ستون راقصاً وراقصة حازوا درجة الإجازة في الرقص المسرحي، هاجر أربعون منهم إلى خارج البلاد، بينما بقيت قلة قليلة منهم تواظب على عروض متقطعة هنا وهناك، أو تسافر لتقديم عروض عربية ودولية مشتركة لتعود بعد ذلك إلى ورشها الوطنية المغلقة.

وقدم أحمد جودة الراقص الوحيد في العرض المرشح لنيل الإجازة في الفنون المسرحية برفقة كل من مها الأطرش وخاجيك كج حيان، متتاليات حركية بدأها الطلاب بتقديم ما يشبه فيلماً عن حياة الراقص وعزله موجهة المدينة لينتقل بعدها من الشاشة إلى خشبة متكتاً على تقنيات الرقص المعاصر ساردا قصة حب رجلين لامرأة واحدة شاهد فيها الجمهور قدرة الراقصين الثلاثة، وعلى قدرة تعبيرية لافتة يكون فيها المسرح الجسدي عنواناً رئيساً في إثراء المشهد المسرحي السوري.

العيد.. طقس محبة ولمّة فرح!

لم تكن الأعياد عموماً مناسبات دينية فقط، كما يتصور البعض.. بل هي اجتماعية وعادات وتقاليد وطقوس استرخاء وانسجام ومحاكاة للإنسان للطبيعة في التجدد الدائم للحياة والوجود سبقت الأديان بألاف السنين..

زهير مشعان

تتغير بسرعة وتعيش أزمة وجود؟ ألم تنهض الممارسات الطقوسية بوظائف اجتماعية حاسمة فتشبع حاجات كامنة في حياة الجماعات وتدخل في مبادلاتهم المادية والرمزية؟ ألا تُوظف ممارسات الطقوس بوصفها وسائل رمزية لتأسيس السلطات والمراكز الاجتماعية وإضفاء الشرعية على السلطات وأشكال التمايز القائمة بين الأفراد والجماعات؟.. الخ».

وهنا قد يتبين لنا أن ما تقوم به الجماعات المتطرفة من تشويه للطقوس والعادات التي تعتبر جزءاً من النواة الثقافية، ليس لتفتيت المجتمع ومؤسساته الاجتماعية فقط، بل بهدم النواة الأساسية في المجتمع وهي الأسرة، وصولاً إلى هدم الأفراد مما يسهل التحكم بهم، والقضاء على إنسانيتهم، وهذا ما تجلّى من وحشية الممارسات والجرائم والقتل خنقاً وحرقاً وذبحاً من حيث الشكل، ومن حيث المضمون، حيث يذبح الابن أمه ويقتل الأب ابنته.

وكذلك ما تقوم به الأنظمة من استغلال لهذه الأعياد وتحويلها إلى مناسبات تمجيد وترسيخ للدكتاتوريات ومنحها القدسية ذاتها.

تسليح الأعياد!

صحيح أن الأعياد تنطوي على طقوس محبة وفرح، إلا أنها تحولت عند الكثيرين إلى موسم استهلاكي، حيث نجح سوق الهدايا في أن يفرض نفسه على بعض الأعياد، ورغم أن البشر بدأوا بمهاداة الأطفال كي يتعلموا أن الحياة هدية، وأنها تحتفظ بهدية الحياة، ولذلك توجد الهدايا. ولكن عندما تتحول إلى مجرد طقس، يبالغ فيه، لدرجة يتحول فيها

في الأساطير القديمة كانت تقام طقوس لاسترخاء للطبيعة والاحتفال بها، كتقديم القرابين للنهر، أو الاحتفال بهطول الأمطار وبداية فصل الربيع مثل عيد أكييتو، أو طقوس الصيد والعمل الزراعي المعبرة عن أنسنة الإنسان، وكان يرافق هذه المناسبات نشر المحبة والتفؤل والفرح بالتجدد. وطقوس الاحتفال بذلك تختلف من منطقة إلى أخرى حسب تنوع الثقافات والحضارات. وتطورت هذه الطقوس على مر العصور، إلى أن تحولت إلى طقوس في أغلب الأديان، وإلى عادات وتقاليد اجتماعية متواصلة ومستمرة تنتقل من جيل إلى جيل وإن تغيرت في بعض أشكالها.

وكما تجدد الطبيعة نفسها وتزيّن مظاهر الخصب والولادة التي تنشر المحبة والفرح حولها، يغير الإنسان أسلوب حياته في فترة العيد، ويرتدي لباساً جديداً وغير ذلك من المظاهر الاحتفالية في الطعام والشراب واللهو، وأكثر ما يتجلى ذلك لدى الطفولة، رمز الأمل والمستقبل.

طقوس المحبة!

أهم ما يرافق الأعياد هي طقوس المحبة، والتي تحتوي محاولات لتجاوز الأحقاد والخلافات، وتتضمن تبادل الزيارات والهدايا واجتماع الأسر، وتناول الحلويات.. وغيرها، مما يعزز العلاقات الاجتماعية. إن تتبع مسار الأعياد في ثقافات الشعوب يثير أسئلة كثيرة حولها وحول الدور الذي تلعبه في المجتمعات من مثل: «ألا تعتبر الأعياد مناسبات للتعبئة، وتجيش الوعي الجمعي في مجتمعات



والأفراح الصغيرة لم تسلم من التسليح، ومن محاولات إفراغها من محتواها وتشويه وظيفتها الاجتماعية.

يمكن للقوى السياسية والفعاليات الاجتماعية القيام بوظائف سياسية وعلمية لتخليص المجتمعات الحديثة ولو جزئياً مما لحق بها من تشوهات، لتصبح ممارسات اجتماعية ذات ديمومة وصفة جمعية وزمنية واضحة، وهو ما يتطلب تغييرات اجتماعية جذرية شاملة وعميقة، تطل نتائج الأزمنة المستمرة منذ أكثر من خمس أعوام، إضافة إلى العقود السابقة من التهميش وتغييب الحياة السياسية والمشاركة الجماعية في جوانب الحياة المختلفة، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

إلى عبء يرهق الأسرة، أو يخلق حالة من الحرمان الذي تفرضه ظروف اقتصادية في أحيان كثيرة وبهذا يصبح مناقضاً لمعنى العيد، عندما يفرغ من محتواه. هنا أيضاً يبرز سؤال آخر، ألا تندرج الأعياد ضمن المساعي لتعزيز ملكية الثروات الرمزية في سوق استهلاكي؟

تبيين الوقائع وتؤكد أن النمط الاستهلاكي أصبح سائداً، وأدى إلى انتشار القيم الانتهازية والنفعية وما يرافقها من نصب واحتيال وفساد، وأنه أصبح خطراً اجتماعياً ومرهقاً اقتصادياً إذ تراجع نمط العمل والإنتاج وقيمه، وجرى تغييب الأعياد الوطنية ورموزها، وحتى الأعياد العامة

الإسلاموي» فقط، بل وعن حضارة منطقتنا بأسرها.. ذلك حال من يرتبط طبقياً ومصلياً بأمرها، والذي يحلم بأن تبقى بلاده تابعة اقتصادياً للغرب، وأن تبقى منظوماتها فاسدة ومتهتكة طالما كان في مواقع النهب الأساسية ضمنها.. هذا النوع يحقد على السعودية وأشباهاها فقط لأنها تنافسه في «حب أمريكا» ومنظومتها.. ولذلك فهو حين يسبب الإرهاب يربطه بالوهابية فقط ويحاول أن يبعد من المشهد معلمه و«تاج رأسه» الأمريكي الذي يحتل مركز عملية إنتاج الإرهاب وإدارته..

الاجتماعي السياسي كلها، وضمناً العلمانية، حتى تبدأ تلك المفاهيم بفقدان سياقها التاريخي الاقتصادي. ويمكن من خلالها صنع ثنائيات كاذبة جديدة، تضع هذه «العلمانية الطائفية» في مواجهة الإرهاب المرتبط بالتطرف الديني، كتقيضين وهميين جديدين يمكن تسويقهما في سوق المصطلحات المفتوح على مصراعيه في زمن الحرب، فيكون من نتائج ذلك فصل «الإرهاب» عن أساسه الاقتصادي، وعن مصالح مموليه، وتحديداً فصله عن الغرب الرأسمالي، بل والترويج لكون الغرب «بديلاً حضارياً» ليس عن «الإرهاب

النقيضان في طبخة واحدة، يصبح من الصعب على المتلقي أن يشم رائحة النكتة المختبئة «رغم أنها لا تختبئ عميقاً». إن قليلاً من البحث في هذه الترويجات الإعلامية يكشف جوهرها. ليس مستغرباً مثلاً أن أحد المروجين للعلمانية الطائفية ممن أسس حزباً سياسياً لا يخفي علاقته بالأمريكان بل وحتى بالصهاينة، تحت مسميات الدراسات الاجتماعية والفلسفية والتمويل، وهذا الكائن يقوم بالترويج للعلمانية كنوع من المحاضرة الطائفية! لكن حقاً ماذا يريدون من هذا الترويج؟ إنه تشويه متعمد لمفاهيم التطور

د. عرب المصيري

تتكاثر المواقع الإلكترونية المروجة لهذا الفكر، ممثلة تحت عناوين عريضة غالباً ما يكون جزء من تسميتها فيه مصطلح «حر».

اعتاد المتلقون على فهم أن العلمانية بشكلها الذي «يفصل الدين عن الدولة» هي حل منطقي لحياة سياسية «نظيفة» -وهي ترتبط بمراحل نشوء الرأسمالية في أوروبا بشكل أساسي خروجاً من مراحل الإقطاع المتماثل في سلطة المؤسسات الدينية- لكن عندما يجتمع

كلما قرأت مقالاً يتحدث عن العلمانية، من تلك المقالات منخفضة القيمة الفكرية، تلك التي تشم منها رائحة طائفية- عنصرية- مذهبية، تذكرت الاتهامات التي نسعها دوماً حول نظرية المؤامرة، أبحث دون تردد عن أصول هؤلاء المروجين للعلمانية ذات النكهة الطائفية، فأجد لهم علاقة مباشرة لا تخبئ نفسها بالمخطط الأميركي للمنطقة. إنهم لا يجتهدون كثيراً لإخفاء هذا الارتباط الوثيق بين ما يروجون له وبين النموذج الأمريكي.

للانتساب لحزب الإرادة الشعبية بجميع المحافظات.. نرجو الإتصال على الأرقام التالية:

المحافظة	الإسم	الهاتف	دمشق وريفها	علاء عرفات	0944636640	طرطوس	صلاح معنا	0999725141	الحسكة	حمدا لله ابراهيم	0999212404
درعا	خالد الشرع	0932848985	حمص	محمد زهري زهرة	0933145891	حماة	أنور أبو حاضمة	0933763888	حلب	جمال عبدو	0933796639
السويداء	مهند دليقان	0991586731	اللاذقية	صلاح طراف	0988386581	دير الزور	زهير المشعان	0932801133	الرقدة	محمد فياض	0945817112

«كرة القدم»..

استعادة الطفولة في كل أسبوع!



تحضر كرة القدم بقوة معلنة عن نفسها، تتابعها أفئدة وقلوب الملايين من المشجعين والمهتمين، تنافس بشدة أخبار الحروب والدمار الذي لحق بالعالم وحالة الغليان التي يعيشها، وربما تلفت الكرة انتباه الناس حتى أكثر من الأخبار لأنها تبدو فسحة حياة في خضم الموت.

■ إيمان الأحمد

وردت الرياضة في كثير من الأعمال الأدبية، وما تغير على مر الزمان هو طبيعة وتطور العلاقة بينهما، إذ نجد اليوم تزايداً مستمراً لحضور الرياضة في القصص والروايات لدرجة تصبح فيها أحياناً محركاً للأحداث والشخصيات في بعض الأعمال الأدبية، أو الموضوع والحدث الأوحد في بعضها الآخر، بينما لم تكن ترد سابقاً إلا في مشاهد متفرقة لتساهم في إضفاء الزخم والحركة فيها.

تتنوع أنواع الألعاب الرياضية المذكورة في الأدب، وتترجم كرة القدم على عرشها، خاصة بعد أن أخذت بقلوب الملايين من الناس على مستوى العالم. العلاقة بين كرة القدم والأدب إشكالية. يرى البعض أنها عالمان متناقضان وأن هذا ما سبب القطيعة بينهما فالكاتب كانوا يحتقرون كرة القدم، ولاعبو كرة القدم كانوا يهربون من الأدب. وهذه التقسيمة وصلت أيضاً للقراء والمشجعين. لكن في الحقيقة تمكنت الكرة من أن تدخل عالم الأدب مثلها مثل أي موضوع آخر. اتخذت العلاقة بين الأدب وكرة القدم اليوم شكلاً جديداً، يمكن القول أنهما يشتركان بكونهما نتاج عملية العولمة وانتشار «بيزنس» كرة القدم، وقد رافقها الأدب في هذا المصير، وكذلك سوق النشر.

«أفضل شعراء العالم»

«الهداف دائماً أفضل شعراء العام»، هذا ما كتبه ذات مرة باولو بازوليني الكاتب والشاعر والمخرج الإيطالي، الذي عكس عبارته قمة الرومانسية في العلاقة بين العالمين. في مكان آخر يقدم بازوليني أفضل تعريف يمكن أن يقدمه الأدب عن كرة القدم: «كرة القدم منظومة من العلامات، وبالتالي فهي لغة. ثمة لحظات شعرية بشكل صاف، إنها لحظات إحرار هدف. كل هدف دائماً يمثل اختراعاً، دائماً ترمد على الكود: الهدف إبهار، لهب، لمعان. مثل الكلمة الشعرية. هدف البطولة هو دائماً أفضل شعراء العام. والمباريات التي تحقق أهدافاً أكثر تحقق شعرية أعلى». لم يكن هذا رأي خورخي لويس بورخيس الذي رجم بسخريته هذه

اللعبة، وقال في أكثر من حوار صحفي: إن كرة القدم «إحدى حماقات الإنجليز.. رياضة جمالياً قبيحة، 11 لاعباً ضد 11 آخرين يركضون خلف كرة، منظر لا يحمل جمالاً».

وحول هذه القطيعة مع اللعبة، يؤكد مارتين كاباروس، مؤلف «فم صغير»، أن «موقف بورخيس مرتبط بفكرة خاصة بالسبعينيات ترى أن كرة القدم أفيون الشعوب، اللعبة التي تخدع ملايين من الحمقى الذين يسحبونهم من صراع الطبقات ليضعوهم أمام صراع المربعات».

«انتحار في الملعب»!

كتب البيروفي خوان بارا ديل ريجو، والأرجنتيني برنارد كنال فيجو: «القصيدة الأخيرة لكرة القدم» فيما نشر أوراثيو كيروجا «انتحار في الملعب»، وهي قصة قصيرة عن حالة حقيقية تعرض لها لاعب في ناثيونال، حيث أطلق رصاصة على نفسه في الدائرة الوسطى بالملعب. أما أول حكاية خيالية في تلك الفترة حول كرة القدم فكانت رواية الفرنسي هنري مانتزلان «أحد عشر أمام المرمى الذهبي». وفي 1923، كتب بابلو نيرودا قصيدته الشهيرة «اللاعبون» في ديوانه «غسق»، وخلال النصف الأول من القرن العشرين كانت هناك دغدغات بين الأدب وكرة القدم إذ دخل بقوة ماريو بينيديتي بقصته الشهيرة «جناح أيسر» التي كتبها في 1955 ونشرت في كتاب «أهل مونتيديو». غير أن الأدب لم يمنح جمهوراً لعالم الكرة فقط، بل أصبح أكثر ثراء من خلاله أيضاً. ألبير كامو، مثلاً، تعلم عندما كان حارس مرمى في الجزائر أن «الكرة لا

تتجه أبداً صوب المكان الذي ننتظر أن تتجه إليه. هذا ساعدني كثيراً على فهم الحياة.. أكثر ما تعلمته عن الأخلاق وواجبات الرجال أدين به لكرة القدم». ولكرة القدم يصبح كامو مديناً بأسطورة سيزيف والعدالون والطاعون.

«كرة القدم بين الشمس والظل»

أما إدواردو غاليانو فهو من أرسى مستوى جديداً من العلاقة بين الرياضة والأدب، بكتابه عملاً كاملاً لا مكان فيه لأي شيء سوى كرة القدم. الكاتب الشغوف بالكرة كبقية أبناء بلده وقارته، كان يحلم بأن يصير لاعباً، لكنه «لم يكن يلعب جيداً إلا في الليل، أثناء نومه»، كما يعترف في مقدمة كتابه «كرة القدم بين الشمس والظل» الذي وضعه في العام 1995، والذي أهداه لأولئك الأطفال الذين التقى بهم ذات مرة وكانوا عائدين من لعب كرة القدم وهو يغنون: «ربحنا أم خسرنا

لن نتبدل متعتنا

متعنتا تبقى كما هي

سواء

أخسرنا أم ربحتنا» يقدم في هذا الكتاب تاريخاً لأهم لحظات كرة القدم في القرن الماضي. لا مكان للحب، لا مكان للحرب، لا مكان للمعتقدات المختلفة. تصبح كرة القدم في هذا الكتاب هي المعشوقة والمعبود والأفيون الجديد للشعوب والعائلة وكأس الشرب. بسببها تندلع الحروب، وبفضلها تلحن الهدن، كما حصل مرة في الحرب بين نيجيريا وبيافرا، وذلك من أجل مشاهدة بيليه يلعب.

الأدب وكرة القدم فنّان، يسيران معاً. ما تزال المحبرة تحمل عبارات تشير لجمال كرة القدم كما يراها الأدباء. وما تزال كرة القدم، رغم التسليح، وباعتبارها لعبة فقط كما يقول خابيير مارياس «هي استعادة الطفولة كل أسبوع».



كلما تحولت
هذه الرياضة
إلى صناعة كان
يجري استبعاد
الجمال الذي
يتولد من متعة
اللعبة لمجرد
اللعبة

الملعب بالنسبة
لغاليانو ليس سوى
مسرح كبير، يمثل
اللاعبون فيه بأرجلهم
في عرض موجه إلى
جمهور من آلاف أو
ملايين المتحمسين
الذين يحضرونه في
المدارجات أو في البيوت،
لا فرق، أرواحهم معلقة
بطرف خيط. من الذي
يكتب النص.. وكم من
المسارح يوجد في مسرح
كرة القدم العظيم؟
يوجه غاليانو في
كتابه نقداً مبكراً نسبياً
لتحويل كرة القدم إلى
سلعة تجارية، يراكم
من خلالها ملاك النوادي
الثروات وبيبيزونها،
ويصل من خلالها
أعضاء ومسؤولي
الاتحادات الكروية،
والإتحاد الدولي نفسه،
إلى الثراء، فيما يحرم
محبو اللعبة الأكثر
شعبية في العالم من
مشاهدة المباريات
لاضطرارهم دفع
مبالغ لا طاقة لهم على
دفعها عند كل حدث
رياضي، يقول غاليانو:
«تاريخ كرة القدم هو
رحلة حزينة من المتعة
إلى الواجب، فكلمة
تحولت هذه الرياضة
إلى صناعة كان يجري
استبعاد الجمال الذي
يتولد من متعة اللعبة
لمجرد اللعبة».